

الشيخ مبارك بين التطلعات الروسية والمصالح البريطانية في الكويت 1896-1904م

عبدالله الهجري

مدرس، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

تتناول هذه الدراسة التحركات الروسية تجاه الكويت في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (1896-1904م)، التي ازدادت فيها الأهمية الاستراتيجية لموقع الكويت، وأصبحت محط أنظار العديد من القوى الاستعمارية الكبرى في العالم، وقد استهلكت هذه الدراسة بتقديم خلفية تاريخية عن التحركات الروسية في منطقة الخليج العربي في العصر الحديث بشكل عام، ثم تطرقت إلى المحاولات الأولى لدخول الروس إلى الكويت عبر عروض مشاريعهم المختلفة، كما استعرضت الدراسة موقف الحكومة البريطانية من تلك التحركات وتأثيراتها السلبية على نفوذها في منطقة الخليج العربي، وألمحت إلى أن أهمية الكويت من الوجهتين الجغرافية والاقتصادية كان لها - دون شك - دور كبير في تحديد اتجاهات تلك التحركات، وأن بعض المشاريع الروسية وغيرها من المحاولات والتحركات تجاه الكويت كانت من الأسباب المباشرة التي أدت - فيما بعد - إلى عقد اتفاقية الحماية البريطانية الكويتية، كما هدفت الدراسة أيضاً إلى إلقاء الضوء على جزء من تاريخ العلاقات الخارجية للكويت في تلك الفترة الحرجة على الرغم من قصرها، ورصد تطور السياسة الخارجية الروسية بمنطقة الخليج في غمرة السباق والتنافس مع القوى الاستعمارية، وكيف استطاع الشيخ مبارك الكبير احتواء التحركات الروسية ما بين مجاراتها تارة وصددها والوقوف بوجهها تارة أخرى، وهي تحركات لو استطاعت روسيا من خلالها الوجود على أرض الكويت لكانت خريطة الخليج العربي اليوم كلها تغاير ما هي عليه الآن، خاصة أن المصادر تؤكد أن هناك ميلاً وازدواجية في سياسة الشيخ مبارك وتعامله مع القوى الموجودة في المنطقة ومحاولاته المتكررة بمعادلة قوى بقوى أخرى، واعتمدت الدراسة على عدد من وثائق من الأرشيف الروسي بجانب مصادر رئيسية أخرى، ترصد تلك التحركات، مع بيان أن السياسة الكويتية الوليدة في تلك الفترة، عانت كثيراً ضغطاً دولية أثرت - بدرجة كبيرة - على بعض توجهاتها، وفرضت أحياناً كان لا بد من التعامل معها وفقاً لمعطياتها.

مدخل

تظل العلاقات العربية الدولية بحاجة لجهود توثيقية، ولمراجعات مستمرة، وحس دائم بأهمية جمع الوثائق وحفظها؛ لكونها تشكل ذاكرة الأجيال، ومن هذا المنطلق وعلى أساس أن التاريخ وتحليل الوثائق واستنتاج دالاتها يكشف المزيد عما كانت عليه الأوضاع في الماضي وما ترتبت عليه الأحداث في الحاضر. نلقي الضوء على فترة شهدت فيها الكويت ومنطقة الخليج العربي صراعاً محتدماً بين القوى الاستعمارية العظمى في ذلك الوقت.

وهذا البحث يندرج في الجهد التاريخي الرامي إلى التعريف بواقع علاقات الكويت الدولية، وما تميزت به من تنافس بين القوى الأوروبية، وهو يركز في ذلك على معرفة الظروف والملازمات للتطلعات الروسية نحو الخليج عامة والكويت خاصة، اعتماداً على الوثائق المتوفرة، وهو بذلك يطمح إلى توضيح بعض الجوانب التي ظلت تحتاج إلى تعمق في دراسات تناولت التوجهات السياسية لروسيا القيصرية في الخليج، من قبيل دراسة كل من نادبة الدوسري وبوندرافسكي وبدر الدين خصوصي.

وحتى لا نكرر مضمون الإسهامات السابقة نفسها يركز بحثنا هذا على العلاقات الروسية - الكويتية 1896 - 1904م، من خلال سياسة الشيخ مبارك التي اتصفت بالذكاء وبعد النظر، وحتى نحقق الهدف المنشود من الدراسة فإننا حاولنا الإجابة عن عدد من الأسئلة التي تشكل في مجملها الإشكالية التي يقوم عليها البحث، ويمكن تلخيصها في التساؤلات التالية :

- 1 - ما طبيعة التحركات الروسية تجاه الكويت، في الفترة التي غطتها الدراسة؟
أكانت تلك التحركات ذات طبيعة سياسية بحتة، أم اقتصادية فقط، أم سياسية في إطار اقتصادي؟
- 2 - هل كان الوجود البريطاني فقط هو حجر العثرة أمام المطامع الروسية آنذاك أو أن الشيخ مبارك ساعد على إفشال تلك التحركات، أو هناك عوامل أخرى أيضاً؟

3 - كيف استثمر الشيخ مبارك الخلافات والصراعات الدولية التي كانت تدور بين القوى الكبرى، لصالح الإمارة على الرغم من الضغوط التي كان يتعرض لها؟

وانطلاقاً من هذه التساؤلات نحاول النفاذ إلى بعض الجوانب المتعلقة، ومنها :

- 1 - التطلعات الروسية في منطقة الخليج العربي تعبيراً عن المصالح الاقتصادية.
- 2 - التطلعات الروسية نحو الكويت: أهدافها ومظاهرها.
- 3 - موقف روسيا من معاهدة الحماية البريطانية 1899م.
- 4 - موقف الشيخ مبارك من التطلعات الروسية: سياسة الحذر والحيلة واستغلال الظروف الملائمة.
- 5 - محاولة استثمار الشيخ مبارك الموقف الروسي من الحماية البريطانية لصالح الكويت.

تمهيد

إن تلمس الصورة الحقيقية من خلال كتابات المعاصرين الأجانب عن تلك الفترة محل الدراسة لا تخلو غالباً من بعض الافتراض والميل⁽¹⁾، حتى فيما يتعلق بالوثائق الأصلية ذاتها، خاصة تعرف الأسباب الحقيقية التي دعت الشيخ مبارك لطلب عقد حماية مع روسيا على غرار التي تم عقدها مع بريطانيا، وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تسعى لتصفية أي نفوذ دولي بالمنطقة يهدد وجودها القوي هناك، لذا عمدنا إلى محاولة تحديد الآليات التي استخدمها الروس، في تحركاتهم على الكويت والمنطقة، وطبيعة هذه الآليات، كبعض المشاريع التي كانت في ظاهرها ذات صبغة اقتصادية، في حين أنها كانت تمهد في الواقع لتحقيق أهداف سياسية غير معلنة، تتمثل في الوصول إلى المياه الدافئة التي كانت بمنزلة حلم طالما سعى الروس إليه وعملوا من أجله، مع علمها بأن

أي تحرك مزعج قد يسبب لها ضرراً كبيراً على مجمل أنشطتها التوسعية في بلاد فارس وما حولها.

ولاشك أن هذه المشاريع الروسية انطلقت من تصور إقليمي يجعل الكويت ضمن المنظومة العثمانية، كما هو في مشروع كابنيس⁽²⁾ Kapinist الذي يجعل من الكويت نهاية لسكة حديد عثمانية الطابع، وفي المقابل كان الإنجليز يتجهجون سياسة مغايرة تنطلق من دعم الكويت كدولة مستقلة عن المنظومة العثمانية؛ الأمر الذي جعل الشيخ مبارك يسعى لتوقيع اتفاقية الحماية مع بريطانيا، التي تضمن له الاستقلال الكامل عن الدولة العثمانية على الرغم من أنها لا تقدم إغراءً اقتصادياً، بل وعداً بالحماية.

طموح روسيا التاريخي في الخليج العربي

قد تبدو الخطوات الروسية نحو لعب دور مؤثر في منطقة الخليج العربي أكثر وضوحاً وإعلاناً عن نفسها منذ نهاية القرن التاسع عشر، وإن كانت هذه التحركات قد ظهرت في فترات سابقة على استحياء، إلا أن الرصد التاريخي يشير إلى أن الاهتمام العام لروسيا بمنطقة الخليج العربي والاتجاه نحوه ظهر وتزايد منذ أيام بطرس الأكبر⁽³⁾، وليس أدل على هذا من مقولته الشهيرة: "توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج [العربي]"⁽⁴⁾. وإذا كانت المعاهدة التاريخية كارلو فيتز في 26 يناير 1699 م⁽⁵⁾ Of Karlowitz Treaty قد أنهت حقبة من الصراع العثماني مع إمبراطورية الهابسبورغ⁽⁶⁾ Hapsburg Empire فإنه بدأ صراعها مع دولة حديثة أخرى هي روسيا القيصرية، وكانت روسيا قد تطورت من دوقية موسكو في أواخر القرن الخامس عشر، إلى أن أصبحت دولة ناشئة ولكن صغيرة⁽⁷⁾، ومن هنا بدأ الاحتكاك بين الدولتين، على الرغم من أن الدولة العثمانية كانت تبسط نفوذها السياسي والعسكري والاقتصادي على كثير من المناطق والبلدان، "وفي أقل من ثلاثين عاماً خاضت روسيا مع الدولة العثمانية حرباً قاسية نتيجة للحرب السويدية - الروسية"⁽⁸⁾، كانت نتيجتها أن أحرزت روسيا العديد من الانتصارات والمكاسب على حساب الدولة العثمانية، وقبول

الأخيرة بالتوقيع على معاهدة كيتشك - قينارجة في 21 يوليو 1774م؛ فاكسبت روسيا على خلفية تلك المعاهدة حقوقاً تجارية وبحرية مهمة؛ إذ أصبح من حقها إنشاء قنصليات في ممتلكات الدولة العثمانية، وأصبح لرعاياها حق التجارة⁽⁹⁾.

وقد مهدت هذه الاتفاقية لروسيا طريقاً للتدخل بطرق مباشرة وغير مباشرة في شؤون كثير من البلدان التابعة للدولة العثمانية في ذلك الوقت، بحجج كثيرة، أهمها حماية مصالحها التجارية ومصالح القنصليات الخاصة بها في تلك البلدان.

وعندما دخلت روسيا مرحلة التحديث التي أهلتها لكي تصبح واحدة من الدول الكبرى على مسرح الأحداث، أدرك الروس حاجتهم إلى تغيير موازين القوى لصالحهم في المناطق المحيطة بالإطار الجغرافي لروسيا القيصرية، وبما يسمح لهم بتجاوز البيات الشتوي الذي يفرضه عليهم تجمد البحار الشمالية، وذلك بفتح ممرات آمنة تجاه المياه الجنوبية أو ما يعرف بالمياه الدافئة، ولتحقيق هذا الغرض أخذ الروس يتحركون في اتجاهين:

أحدهما تمثل في الضغوط المستمرة التي كانت تمارسها على الدولة العثمانية الضعيفة وحروبها الطاحنة معها، التي تنازلت فيها الدولة العثمانية عن مناطق إقليمية مهمة كالبحر الأسود، والضغوط الدبلوماسية الشديدة أيضاً على أمل أن تؤدي في النهاية إلى التسليم بمشاركتها في إدارة المضائق، ومن ثم الوصول إلى البحر المتوسط، ومنطقة الشرق الأدنى، وبذلك يصبح في إمكان روسيا التدخل في شؤون الدولة العثمانية والمناطق التابعة لها. فلا غرابة، إذاً، أن تحاول روسيا - وهي أقرب جغرافياً لمنطقة الخليج من قوى أخرى، كألانيا وفرنسا وبريطانيا - أن يكون لها نفوذ هناك، خاصة في ظل وجود القوى الاستعمارية الفعلية المستقرة، وعلى رأسها بريطانيا⁽¹⁰⁾.

والاتجاه الآخر تمثل في السيطرة على مساحات واسعة من آسيا الصغرى؛ فتوغل روسيا إلى ما وراء بحر قزوين واقتربها من حدود أفغانستان، أعطى لها حافزاً ودافعاً قوياً لمحاولة فرض السيطرة والنفوذ لما هو أبعد وأهم، ومرجع ذلك يعود إلى عدة أسباب، منها:

أن معظم البحار التي تطل عليها روسيا بحار مغلقة أو شبه مغلقة، كالبحر الأسود وبحر البلطيق، كما أن بعض البحار الأخرى تعاني تجمد مياهها أغلب فصول السنة؛ مما جعل الخليج العربي إحدى أهم المناطق التي تشكل في واقع الأمر ممراً يؤدي إلى مياه المحيط الهندي.

وبغية الوصول إلى الهدف بدأ الروس بالتوغل في بلاد فارس وأفغانستان، وهما العمقان الطبيعيان والاستراتيجيان لها، وذلك على اعتبار أن اختراق أفغانستان سيمكنها من الوصول إلى المحيط الهندي، أما اختراق فارس فسيمكنها على الأقل من الوصول إلى المياه الدافئة، وبذلك جعلت من منطقة الخليج العربي والكويت وبلاد فارس خاصة هدفاً أساسياً، ومن أجل ذلك اتجهت روسيا لاحتلال أرمينيا والتقدم باتجاه آسيا الوسطى، واجتياح الشمال الإيراني، ومن ثم التقدم باتجاه هدفها الكبير الخليج العربي، عبر الخط الممتد بين إقليم قارص باتجاه نهر الفرات والعراق⁽¹¹⁾، ولم يقتصر النشاط الروسي على هذا فقط بل "امتد إلى ولاية بغداد وما حولها من أراضي الدولة العثمانية"⁽¹²⁾، وهو ما دل على سياسة منظمة انتهجها الروس لتطويق المنطقة ومن ثم الوصول للخليج العربي والوجود على أرض الكويت.

فعلى الجانب الإيراني، كان ظهور بعض الأطباء وتعيين القناصل (كالقنصل الروسي في شيراز ولنجة)، ووجود بعض الأطباء الروس بمنطقة بندر عباس أيضاً، و سعي المندوب الروسي في لنجة لإقامة حامية في جزيرة قشم وغيرها يضاف إلى ذلك أن السفن الروسية أصبح لها مطلق الحرية في الرقابة الحربية على بحر قزوين⁽¹³⁾.

أما على الجانب الآخر، وهو بغداد وما حولها من الولايات العثمانية، فقد نشط الروس كثيراً خاصة بتبنيهم عدداً من المشاريع (سكك حديد - محطة فحم - ميناء)، وإنشاءهم الخط الملاحي بين "أوديسيا وموانئ الخليج على الرغم من أنه ليس مربحاً تجارياً إلا أنه عد شاهداً على أن روسيا كانت تهدف من وراء تحركاتها هذه لأغراض سياسية في الأساس"⁽¹⁴⁾.

التحرك الروسي نحو الكويت

كان النشاط الروسي حتى عام 1890م مركزاً في منطقة الشمال الفارسي⁽¹⁵⁾، ولعب القناصل الروس، وبخاصة في البصرة وبغداد، دوراً مهماً في فتح قنوات اتصال بين روسيا وشيخ الكويت، خاصة أن روسيا بدأت بالفعل في ربط الأمور القنصلية بأمور التجارة، هذا في الوقت الذي بدأت البعثات الروسية تتردد فيه بكثرة على المنطقة⁽¹⁶⁾، وكانت الجهود الروسية المبذولة في فارس، والتي تمثلت في إقامة كثير من المشروعات الاقتصادية وفتح القنصليات وإرسال البعثات، أحد العوامل المشجعة على تنامي الطموح الروسي إلى دخول الكويت، ولم يكن من قبيل المصادفة أن يركز الروس على الكويت بعد أن أصبحت مركز نشاط تجاري بالمنطقة حتى شبهت بأنها "مرسيليا" الشرق⁽¹⁷⁾، بعد أن شهدت علاقتها التجارية تطوراً كبيراً ملموساً، خاصة مع الهند وعدد من البلدان الأخرى، وعدت الميناء الأساسي لجزيرة العرب الوسطى والشمالية والشرقية⁽¹⁸⁾، وهذا ما دعم مركزها التجاري كثيراً، في ظل حرص الشيخ مبارك على إبقائها خارج السيادة العثمانية⁽¹⁹⁾.

وقد توالى منذ عام 1896م الرسائل والتقارير التي تحمل في طياتها وضع الإمارة وتأثيره في المنطقة، ولما كان الصراع الاستعماري في الخليج في أواخر القرن التاسع عشر قد تجاوز الحدود حول المنطقة الشمالية للخليج بما فيها الكويت، فقد أبدى الروس اهتماماً خاصاً بمنطقة الخليج، وعبرت روسيا عن ذلك صراحة على لسان وزير خارجيتها لامز دورف L. Dorf، الذي صرح قائلاً: "السياسة العامة لروسيا القيصرية أولاً وقبل كل شيء سياسة آسيوية"⁽²⁰⁾، لذا تابع الروس باهتمام الأحداث الداخلية والانقلاب الذي قام به الشيخ مبارك عام 1896م على شقيقه محمد وجراح⁽²¹⁾ وقد كان نتيجة للحدث هذا أن شكت الدولة العثمانية بأن وراء العملية دعماً بريطانياً، وهو ما دعاها أيضاً لعدم الاعتراف بالشيخ مبارك؛ حيث يذكر مستشار السفارة البريطانية في استانبول في مذكراته المؤرخة 30 يونيو 1896م ما ترجمته: "تم مؤخراً اغتيال الشيخين الشقيقين محمد وجراح، ووصلت إلى الباب العالي أنباء تفيد أن الشيخ مبارك،

وبعد شهر من ضيافة الكولونيل ولسن المقيم السياسي البريطاني في الخليج له قتل شقيقه"، حتى إن القائم بأعمال القنصل الروسي في بغداد ماشكوف Maskov تحدث عن عقد اجتماع سري بين شيوخ من آل الصباح وبعض أعيان الكويت في 16 مايو 1896م لمناقشة الصلة الوثيقة بين الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت و يوسف الإبراهيم⁽²²⁾، وزعم أن المجتمعين وافقوا على قيام الشيخ مبارك بالانقلاب⁽²³⁾.

كذلك أرجع القنصل الروسي ببغداد كروغولوف⁽²⁴⁾ krogalov في أحد تقاريره لحكومته سبب الإطاحة بالشيخ محمد إلى اتصالاته الوثيقة مع الإنجليز. وقد كان على الشيخ مبارك أن يتعامل مع التطورات التي وجد نفسه فيها، بحكم توليه إمارة الكويت، بمنتهى الحذر، خاصة أن القوى الاستعمارية كانت ترصد أي نقطة ضعف لكي تنفذ منها وتضع قدمها في الإمارة، وكان عليه أيضاً أن يستفيد - بأقصى قدر ممكن - من هذا التنافس على إمارته⁽²⁵⁾.

بينما حاول الروس جس النبض تجاه تحركاتهم فأرسلوا التجار والبعثات العلمية تحت دعاوى تنشيط التجارة و مكافحة مرض الطاعون، غير أنهم كانوا في حقيقة الأمر مبعوثين حكوميين وكان بعضهم على اتصال بالسلطات العثمانية أيضاً⁽²⁶⁾، وعملوا على كسب ود الشيخ مبارك والتقرب منه، وهو ما حدث من التاجر الروسي آفانيسوف⁽²⁷⁾ Ovanessof ومعه عباس عليوف Abbas Aliof، وحاول أفراد من البعثات الحكومية الروسية إجراء بعض الدراسات وتفقد الوضع السياسي في الكويت كالدكتور "صيراميا تنيكوف Teenakof الحقوقى بجامعة بطرسبورغ ومعه الضابط بافلوفسكي Bavelooveski"⁽²⁸⁾.

التحركات الروسية: أهدافها وغطاؤها

شكلت المصالح التجارية أهم قاعدة لتحركات روسيا في الكويت ومنطقة الخليج العربي بصفة عامة؛ فقد انتقل الرأسمال الروسي إلى دائرة السياسة والتحرك النشط في حوض الخليج العربي، وفي الوقت الذي أبدى الروس اهتماماً بالأوضاع السياسية بالكويت، أخذوا يتطلعون إلى تأسيس مصالح

ووجود تجاري لهم، في إطار التأسيس لمصالح اقتصادية في منطقة الخليج العربي بشكل عام؛ ففي إبريل 1900م رفع وزير المالية الروسي آنذاك فيتى Vitte إلى القيصر نيكولاي الثاني تقريراً نوه فيه بضرورة فتح خط ملاحى يصل إلى الخليج العربي، كما أكد الوزير أن تطوير العلاقات التجارية عبر الخليج العربي يشكل أهمية كبيرة، ولم يكن الاقتصاد الروسي في ذلك الوقت يشهد نمواً كبيراً فحسب بل إنه صار يتحكم شيئاً فشيئاً في نظام التوازن السياسي والاجتماعي للدولة.

وعقد في وزارة المالية الروسية في ديسمبر 1900م اجتماع كرس لمناقشة بعض الأمور المتعلقة بإقامة علاقات تجارية مع بعض موانئ الخليج العربي، ومنها الكويت، وترأس الاجتماع آنذاك نائب وزير المالية كوفاليفسكي Covaleveski، وحضره من رجال المال والأعمال أساطين الرأسمالية الروسية وكبار التجار المشهورين آنذاك من مثل بروخوفروف وبارانوف ونوبل وبرودسكي⁽²⁹⁾، الذين أكدوا ضرورة التوجه نحو موانئ الخليج العربي وفتح آفاق جديدة للتجارة والاقتصاد الروسي في المنطقة، وفي هذا السياق ناقش السفير الروسي في طهران - في تقريره إلى بطرسبرج في عام 1901م - المشكلات المرتبطة بتنشيط العلاقات التجارية وغيرها لروسيا في منطقة الخليج العربي، وأكد ضرورة زيادة حمولة السفن الروسية المتجهة للمنطقة⁽³⁰⁾، كما أسفر الاجتماع عن توجه بتسيير أربع رحلات سنوية لبواخر الجمعية الروسية للملاحة والتجارة من أوديسا إلى الخليج العربي بدءاً من عام 1901م⁽³¹⁾.

لقد كان لدى الروس اقتناع بأن الإنجليز يسيطرون على التجارة في منطقة الخليج العربي، حتى إن الوثائق الروسية تعترف بذلك، وترى أن حرص بريطانيا على الاحتفاظ بنفوذها إنما هو نتيجة طبيعية تطلبها الدور النشط والفاعل لها منذ فترة طويلة⁽³²⁾، وهو ما كان يقلق الروس بشدة على مختلف المستويات، حتى إن الصحافة الروسية ذاتها شاركت في انتقاد الوضع الإنجليزي المهيمن، وحاولت التنبيه لواقعه المسيطر، وأثر هذا على الطموحات الروسية بالمنطقة⁽³³⁾.

هنا وجد الروس أنفسهم مطالبين بدراسة الأوضاع في الإمارة بهدف تقييم

الموقف وجمع معلومات كافية للاستئناس بها قبل الشروع في إقامة مشروعات خاصة بهم، وفي هذا الإطار أرسلوا بعض المبعوثين إلى الكويت، وهؤلاء أبدوا استعدادهم لتقديم أية مساعدات تطلبها الكويت من حكومتهم⁽³⁴⁾، وبطبيعة الحال كانوا يسعون إلى التقرب من الشيخ مبارك⁽³⁵⁾.

وتشير المصادر إلى أن التاجرين عباس عليوف Abbas Alilof وآفانيسوف Ovanessof حضرا في عام 1899م عبر البصرة وفي جعبتهما أوامر صادرة عن الحكومة العثمانية إلى الشيخ مبارك تطلب منه تقديم جميع المساعدات المتاحة لهما.

وفي يونيو عام 1900م قام الدكتور بجامعة بطرسبورغ تينكوف Teenakof ومعه أحد الضباط الروس متكرراً بزيارة الكويت والمنطقة في جولة تفقدية، قدما خلالها عرضاً للشيخ مبارك مؤداه حصول روسيا على امتيازات في أرضه، وقدموا تقريراً للحكومة الروسية بعد العودة جاء فيه: "إن ثمة مجالاً لتصريف المنتجات الروسية في جنوب إيران، ولاسيما السكر، وتصريف البضائع الصوفية والحبوب والمشروبات الروحية وغيرها، وإن تجاراتهم في المنطقة يجب أن تحظى بدعم رسمي لتستطيع منافسة التجارة البريطانية المزدهرة في منطقة الخليج [العربي] كما يمكن رجوع السفن إلى روسيا محملة بالأرز والتمر واقترح تينكوف Teenakof فتح مصرف روسي في أحد موانئ الخليج [العربي]، وإقامة مخزن للفحم في منطقة بوشهر والبصرة، وافتتاح وكالات قنصلية روسية، على أن تحرس بقوة كبيرة من جنود القوقاز، وأن تبقى على الأقل سفينة حربية روسية بشكل دائم في منطقة الخليج [العربي]"⁽³⁶⁾، وقد تم عرض هذا الأمر على وزير المالية الروسي الذي أبدى استعداداً لدعم تلك المشاريع⁽³⁷⁾، التي بدا فيها بوضوح أن هؤلاء المبعوثين كانوا على صلة مباشرة بغايتها وأهدافها خاصة تلك التي تتعلق بمشاريع مهمة وملحة كإقامة محطة تزويد السفن بالفحم⁽³⁸⁾.

الشيخ مبارك والتحركات الروسية

يمكن القول إن الشيخ مبارك حاول استغلال زيارات الروس بما يخدم

مصالحة بأساليب غير مباشرة، لجعل الإنجليز يسارعون إلى تلبية طلباته، خاصة في حروبه المتعددة مع ابن رشيد ويوسف الإبراهيم والدفاع عن أراضي الكويت من مهاجمة بعض القبائل على الحدود، بعد أن سرب إليهم أنباء المشروعات والاقتراحات المعروضة عليه من قبل الدبلوماسيين والضباط والقناصل الروس، مغتنماً تلك الأحداث في ظل تخوف الدوائر البريطانية من احتمال إنهاء خط بغداد الحديدي في أم قصر، وبذلك رجح الشيخ مبارك الكبير الأحداث إلى كفته هو، متيحاً لنفسه قدراً كبيراً من المساحة للتحرك على خلفية التخوف البريطاني؛ لأن النتيجة بالنسبة لبريطانيا سوف تكون - بلا شك - فقدانها التحكم والتأثير فيما يجري من أحداث في المنطقة وهو ما لم تكن ترضاه أو تقبله.

وفي الاتجاه الآخر، ولقطع الطريق على استغلال بريطانيا لتوتر الأجواء بين الدولة العثمانية والكويت، اهتمت روسيا برأب الصدع بينهما، باعتباره أحد أساليب مواجهة النفوذ البريطاني وهو ما عكسته الرسالة التي أرسلها السفير الروسي في استانبول إلى القنصل الروسي في البصرة أداموف Admaff عام 1901م، والتي ذهب فيها إلى أنه :

"من الضروري دعم المحاولات الرامية إلى إضعاف النفوذ البريطاني في المنطقة، كما أنه من الضروري أيضاً الطلب من حكام المنطقة الامتناع عن إثارة المشاكل للعثمانيين في منطقة شبه الجزيرة العربية، وإذا كان بالإمكان مقابلة الشيخ مبارك، فمن المهم إبلاغه ونصحه بضرورة تحسين علاقته مع الدولة العثمانية، وإبعاد بريطانيا عن ذلك؛ لأن تدخلها سوف يكون من شأنه مساعدتها في السيطرة على سواحل الخليج العربي، وأن أي ضعف قد يطرأ على الدولة العثمانية سوف ينعكس سلباً على الإمارات المستقلة، وفي هذا إسهام مباشر لبريطانيا يمكنها من استكمال مشاريعها التوسعية التي تهدف إلى السيطرة على أجزاء أكبر من هذه المنطقة"⁽³⁹⁾، وفي حديث بين السفيرين الروسي في استانبول زينوفيف Zenoviov والألماني مارشال Marshal، حول أوضاع الإنجليز بالمنطقة وما قام به البريطانيون تجاه زيارة النقيب سيد رجب أفندي للكويت أشار السفير الألماني إلى أنه "نوه في تقريره بأن روسيا وحدها ملتزمة بأن

تتصرف وتتحرك عندما يحدث انتهاك للمصالح الروسية في الكويت⁽⁴⁰⁾، في إشارة إلى تصميم روسيا وعزمها على إيجاد موضع قدم لها في الكويت وخلق مصالح لها فيها.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أنه في ظل المناورات السياسية للشيخ مبارك ورغبته في الاتصال بجميع الأطراف لم يكن يدلي للوكلاء الإنجليز أنفسهم بردود واضحة وإجابات صريحة عن علاقاته مع الدولة العثمانية أو الروسية، بل كان يعطي لهم ردوداً وأجوبة ومعلومات متناقضة؛ مما دفع وزير الخارجية البريطاني ساند رسون SANDERSON إلى القول في إحدى المرات وبعد أن نفذ صبره: "إن حقيقة الأمر مازالت غير معروفة؛ لأن الشيخ مبارك قدم لهم حوالي ست روايات مختلفة في أمر العلاقات مع الدولة العثمانية ومبعوثهم النقيب آنذاك⁽⁴¹⁾".

وهذا ما يمكن أن يستشف منه رغبة الشيخ مبارك في ترك الباب مفتوحاً لأي مفاوضات سياسية مستقبلية من شأنها أن تقوي مركزه وتدعم شأن الإمارة، كما كان يفعل مع الجانب الروسي، بيد أن هناك مصادر تشير إلى رفض الشيخ مبارك العروض الروسية أو عقد اتفاقيات على خلفية المعاهدة البريطانية في إحدى مقابلاته مع القناصل الروس، مبرراً هذا الرفض بالدعم الذي توفره الحكومة الروسية للحكومة البلجيكية في فارس، ورد المقيم السياسي الروسي على هذه المبررات بأن اعتراض الشيخ مبارك مقبول، وإن كانت السياسة البلجيكية في منطقة المحمرة لا تختلف كثيراً عما تقوم به في بعض المدن الفارسية الأخرى مثل بوشهر وبندر عباس، وهنا حاول الشيخ مبارك تنفيذ رد القنصل الروسي بأن المحمرة ليست منطقة فارسية.

وبعد أن استمع القنصل للشيخ مبارك قدم له وعداً يبحث هذا الموضوع ودراسته مع حكومته، مبدئياً استعداداه لتقديم أية مساعدات⁽⁴²⁾.

وهنا نجد بعض الاختلاف في الروايات خاصة ذهاب الإنجليزية منها إلى أن الشيخ مبارك لم يكن متجاوباً مع الروس، وبين لهم أنه في ظل تلك الظروف سيقوم بطلب المساعدة - إذا احتاج إليها - من الإنجليز⁽⁴³⁾ وهو ما يمكن أن نرجعه إلى أن الشيخ مبارك كان يسعى في كثير من الأحيان لاتباع سياسة تقوم

على التوازن بين القوى البريطانية والقوى الأخرى، ولم يكن بأي حال من الأحوال يرغب في خسارته الجانب البريطاني على حساب الجانب الروسي، وإن كنا نتفهم طبيعة ما حاولت المصادر الإنجليزية تأكيده من أن مبارك كان رافضاً العروض الروسية، إلا أننا في الوقت ذاته لا يمكننا أن نتجاهل بعض التقارير الروسية التي أكدت وجود تحركات روسية مركزة على الكويت تهدف لكسب ود الشيخ مبارك الذي كان متجاوباً معها تارة ورافضاً لها تارة أخرى.

وفي حقيقة الأمر ما كان الشيخ مبارك يستطيع أن يمارس هذه الازدواجية السياسية إلا في ظل وجود عدد من الأطراف والقوى، خاصة أنه كان يعي حقيقة الوضع الدولي المحيط به والتحول الاستعماري الجديدة التي تهدف لفرض سيطرتها على المنطقة، فتراها في مناورات الدبلوماسية يحاول استمالة الروس تارة، ثم يتراجع ويرفض مساعدتهم تارة أخرى متحججاً بالمساعدات الروسية لبليجكا، غير أنه لم يكن يغلق الباب كاملاً بل كان دائماً ما يترك الأمر مفتوحاً في أمر العروض والمساعدات الروسية له.

كما كان من المؤكد أن سعي روسيا إلى التمايز عن السياسات البريطانية في منطقة الخليج العربي بصفة خاصة يعطيها مساحة أكبر للتحرك؛ فعندما زار القنصل الروسي ببغداد كروغولوف Krogalov الكويت في مارس 1900م قابل الشيخ مبارك الذي أطلععه على زيارة الألمان وما دار فيها، كما عرض هو على الشيخ مبارك إنشاء ميناء بحري، غير أن التزام الشيخ مبارك بالاتفاقية حال - بلا شك - دون تنفيذ هذا المطلب⁽⁴⁴⁾.

ويظهر أن التسهيلات التي قدمتها الدولة العثمانية لروسيا كانت تهدف في الأساس لإبعادها عن المناطق العثمانية المهمة التي تقع تحت نفوذها، وذلك بإعطائها تنازلات في أماكن أخرى بعيدة عنها، هادفة أيضاً إلى ضرب القوى الأوروبية الاستعمارية بعضها ببعض، ومن ثم تخفيف الضغط عليها⁽⁴⁵⁾، وهذا ما جعل روسيا تحاول استغلال هذه الأوضاع والاستفادة منها، خاصة هذا التراجع العثماني وفقد السيطرة الفعلية على أوضاع المنطقة، الذي كان ينسب

إليها، فعمدت في كثير من الأحيان إلى إثارة الدولة العثمانية ضد الشيخ مبارك⁽⁴⁶⁾.

ولنا أن نتأمل هنا هذه المحاولات الروسية؛ فعلى الرغم من اتخاذها الطابع السياسي والاقتصادي، فإن الجوانب الخفية منها كانت تظهر في بعض الأحيان في قرارات سرية متخذة ذات طبيعة عدائية أو معاكسة، كتأليبها الدولة العثمانية على الكويت، وخطاب السفير الروسي زينوفوف Zenoviov إلى وزارة الخارجية الروسية في 31 أغسطس 1901م متناولاً فيه - بشكل مفصل - التعليمات التي أعدها للقنصل الجديد فيما يخص إمارة الكويت قائلاً "أقترح على آدموف Adamoff أن يعلن للشيخ أننا سوف نستغل نفوذنا في الآستانة، وسوف نمنع الأخيرة من التناول على الاستقلال الذي تتمتع به الكويت"⁽⁴⁷⁾؛ مما يؤكد أن التحركات الروسية كانت تسعى في الأساس إلى تكريس الوجود الروسي بأي طريقة كانت.

المشاريع الروسية الاقتصادية وارتباطها بالتطلعات الروسية في منطقة الخليج

من الصعب فهم دوافع اهتمام روسيا بتعزيز وجودها وعلاقاتها مع دول منطقة الخليج العربي بمعزل عن الاستراتيجيات المتعاقبة لسياستها الخارجية، رغبة منها في الرد على السياسات البريطانية المثيرة للقلق، وترجمة لذلك سعت لإيجاد معادل موضوعي يوازي الخطط الاستراتيجية لها، دون التدخل العسكري المباشر، فكانت السياسة الاقتصادية والتجارية هي السبيل الفعال لتنفيذ هذه الخطط لتكون وسيلة للاستحواذ على ثروات الخليج والسيطرة على مقدراته.

وتعد مشاريع خطوط السكك الحديدية لربط منطقة الخليج العربي بشرقى البحر المتوسط التي قدمها الروس للدولة العثمانية من أقدم مشاريع خطوط السكك الحديدية في منطقة المشرق العربي؛ حيث سعت روسيا لفترة طويلة إلى الحصول على امتياز خط سكة حديد بالمنطقة حتى حصل الروسي تانكريد Tinkered في عام 1883 م على امتياز لمد سكة حديد من طرابلس الشام على البحر المتوسط إلى البصرة، ولكن وفاة تانكريد Tinkered عطلت إتمام المشروع⁽⁴⁸⁾.

وفي عام 1886 م قدم أحد المواطنين الروس - وهو ساينزا SAPIENZA - مشروعاً آخر لربط بحر قزوين بالخليج العربي، بيد أن بريطانيا رفضت المشروع وضخمت من مخاطره على مصالحها في الخليج العربي ولا سيما بعد الأنباء التي أشيعت في عام 1887 - 1888 م عن تنازل إيراني لروسيا عن بعض الجزر⁽⁴⁹⁾ بجانب وجود أخبار عن مشاريع روسية أخرى ضخمة⁽⁵⁰⁾، منها خط سكك حديدية تعبر إيران، وتكون محطتها النهائية بندر عباس⁽⁵¹⁾.

وذكرت الصحافة الروسية مشروعات عديدة لربط الأراضي الروسية بالخليج العربي⁽⁵²⁾، كما ترددت أخبار عن وجود اتفاقية مكتوبة بين روسيا وإيران تقضي بتسليم الأخيرة بندر عباس إليها⁽⁵³⁾.

والحقيقة أن هناك أمراً لا يستطيع أحد أن ينكره، وهو أن الوجود الروسي المكثف ببلاد فارس أوجد نوعاً من الثقل لها بمنطقة الخليج العربي، حتى إن مرسوماً حصلت عليه روسيا من الشاه ناصر الدين وأقره خلفاؤه⁽⁵⁴⁾ من بعده، يقضي بأن "روسيا لها الحق في إقامة مشاريع للسكك الحديدية في الجنوب إذا ما كان هناك حق لأي من الشركات إقامة مشاريع مماثلة في الشمال"، وقد أعطى هذا المرسوم لروسيا ذريعة للاستيلاء على فارس، وبذلك ازداد النفوذ الروسي امتداداً واتساعاً، وكان لزاماً أن تتأثر الكويت بهذا النفوذ⁽⁵⁵⁾.

كما جاء مشروع كابنيس Kapseint والشائعات التي أحيطت به من أنه من المشاريع الاستعمارية التي تسعى روسيا بها إلى الدخول للمنطقة⁽⁵⁶⁾ ونهايته الكويت على الخليج العربي وتخرج منه فروع إلى بغداد وخانقين ليزيد من قلق بعض القوى الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا، وقد قدم المشروع للسلطان العثماني عبد الحميد الذي أحاله بدوره إلى وزارة الأشغال العامة من أجل دراسته وتقديم تقرير عنه⁽⁵⁷⁾، حتى إن اللورد كيرزون Curzon نائب الملك البريطاني بالهند⁽⁵⁸⁾ أشار في مذكرة له إلى أن السفارة الروسية في الآستانة قدمت كل الدعم والتسهيلات للكونت الروسي في سعيه للحصول على امتياز مد الخط الحديدي من طرابلس الشام إلى الخليج العربي لتكون نهايته الكويت⁽⁵⁹⁾؛ مما اعتبره كثيرون مبرراً مهماً في دفع الأحداث ناحية الكشف عن عقد اتفاقية

الحماية بين الكويت وبريطانيا، غير أن هذا المشروع لم يكن مصيره أفضل من مصير غيره من المشاريع التي طرحت؛ نظراً لعدم تمكن روسيا من تمويله من جهة ومعارضة بريطانيا و ألمانيا له من جهة أخرى⁽⁶⁰⁾، وكان هذا المشروع يمثل لروسيا محوراً مهماً وأساسياً في ترسيخ وجودها ونفوذها في الكويت ومنطقة الخليج العربي عامة، إذا قدر له أن يرى النور، وفي الوقت ذاته طرح مشروع آخر لمد خط سكك حديدي عبر فارس من بحر قزوين إلى الخليج العربي، بدعم كبير من وزير المالية الروسي في ذلك الوقت دي وايت Witte، وعلى الرغم من الشروع بالعمل في المشروع في عام 1900م فإن معارضة وزير الخارجية الروسي مورفيوف Morveev له أدت لتوقفه، وبذلك تكون كل المشاريع الروسية لإقامة خطوط سكك حديدية ومن ثم تكريس نفوذها بالكويت وشمال منطقة الخليج العربي قد أحبطت؛ لأسباب، أهمها في المقام الأول تدخل الدول الاستعمارية الكبرى، التي كانت تعمل بقوة لإفشال مخططات الروس في المنطقة، حتى إن البريطانيين اعتبروا طلب روسيا الحصول على امتياز مد الخط الحديدي الذي سوف تكون محطته الأخيرة الكويت، يفتقر إلى أي أساس قانوني؛ نظراً لعدم تبعية الكويت للدولة العثمانية⁽⁶¹⁾، كما أنهم رأوا أن قيام هذا المشروع، سوف يحول المنطقة إلى منطقة نفوذ روسية⁽⁶²⁾ إذا ما حاول الروس تنفيذه فعلياً، ناهيك عن صعوبات تمويل مثل هذه المشاريع والاختلاف حول أهميتها في الدوائر المالية والسياسية الروسية⁽⁶³⁾.

وفي الوقت الذي سعى فيه الروس إلى الحصول على امتياز مشروع للسكك الحديدية شمال الخليج العربي أعلن الألمان في عام 1899م عن طرح مشروع خط حديد بغداد الذي كان مقرراً أن ينتهي عند أحد الموانئ على الخليج العربي آنذاك⁽⁶⁴⁾؛ فقد حاول الألمان بدورهم الوجود في المنطقة والحق بالركب الاستعماري فيها من خلال طرح مشروع السكك الحديدية، وفي هذا الصدد أرسلوا بعثات لاستطلاع الأمر وجس النبض، وبالفعل أحسن الشيخ مبارك استقبال البعثة الألمانية، وكان هذا ماثراً امتعاض كبير من الجانب البريطاني الذي أرسل للشيخ مبارك رسالة عاجلة يبلغه بأن عليه "ألا يخوض في أي

ترتيبات خاصة بخصوص إقامة أي من المنشآت على الأراضي الكويتية، وعليه أن ينتظر تعليمات حكومة الهند في هذا الشأن" (65).

واللافت للنظر أن بريطانيا ذاتها في عام 1902 م قررت التحالف مع روسيا في صراعها مع ألمانيا، ولم تمنع من تعزيز روسيا لنفوذها بالخليج العربي؛ مما كشف عن موقف معكوس كلياً لها من التحركات الروسية في المنطقة، ولكن ذلك - فيما يبدو - كان من قبيل تطويع المواقف ومواكبة المتغيرات.

مشروع الفحم الحجري والميناء

عهد الروس إلى المختصين القيام ببعض الزيارات إلى منطقة الكويت ومعاينتها والتأكد من أنها تصلح لتكون محطة لتخزين الفحم وميناء على الخليج العربي، وبعد أن بحث الروس فكرة القيام بإنشاء خط ملاحى تديره شركة البحر الأسود الروسية للملاحة البحرية⁽⁶⁶⁾، كان بناء محطة للفحم - منذ القديم - أحد أهم اهتمامات الدول الاستعمارية خاصة في منطقة الكويت، فقد تنبأ لويس بيلي Louis Pelly - المقيم السياسى الإنجليزى في الخليج الذي زار الكويت في عام 1863م⁽⁶⁷⁾ - بالأهمية الكبيرة للكويت لصلاحها أن تكون ميناء ومحطة للتزود بالفحم إلى جانب صلاحها أن تكون مرسى تتوقف عنده السفن، وأضاف: إنها سوف تكون أحد أهم الموانئ على الخليج العربى⁽⁶⁸⁾.

لذا فقد بدأت روسيا التفكير في إقامة محطة ثابتة لتزويد سفنها التي تتردد على الخليج العربى بالفحم بجانب مشروع الميناء⁽⁶⁹⁾، ولتكون أيضاً مركزاً تجارياً للسفن الروسية التي تمر بمنطقة الخليج العربى، وكلف الروس كروغولوف Krogalov لكي يضطلع بمهمة إنشاء المحطة المذكورة، خاصة أن خليج كاظمة الكويتي يتميز بمياهه العميقة القريبة من الشاطئ التي تجعله أفضل ميناء على الخليج العربى.

وعلى الرغم من هذا النشاط الروسى المتزايد فإن الحقيقة كانت تشير إلى أن الروس لم يكونوا في وضع قوى يسمح لهم بالتصادم المباشر مع بريطانيا الراضة بشدة لتلك التحركات، خاصة أن روسيا كانت تعاني بعض الصعوبات

في الجانب الآسيوي الآخر، من قبل اليابان، وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا تتابع عن كثب المساعي الروسية وتتحرك في خطوات مضادة لها⁽⁷⁰⁾، على الرغم من الخداع الروسي وتأكيد وزير الخارجية مورافيوف Morveev للحكومة الإنجليزية - وعلى غير العادة - بأن "روسيا ليست لديها رغبة في أن يكون لها قاعدة فحم أو غيرها على الخليج العربي"، وهذا ما عمق الريبة والتوجس الإنجليزي⁽⁷¹⁾ أكثر، فاعتبرت بريطانيا هذه التحركات الروسية نحو مشروع الفحم والميناء بمنزلة التهديد المباشر لها⁽⁷²⁾، وعبر عن هذا القلق اللورد كيرزون Kurzon في عام 1899م عندما ذهب إلى "أن هذا النفوذ ليس صادراً عن دولة واحدة بل أكثر ما يخشاه أن يكون الفرنسيون والروس قد نسقوا سياستهم بالخليج"⁽⁷³⁾.

وبدأت بريطانيا في يونيو 1900م تراقب بحذر كامل الأوضاع الروسية وتحركاتها الخاصة بالكويت، وتشكلت قناعة لديها، مؤداها أن الروس لن يتوانوا عن منافستهم في المنطقة، ولا سيما بعد أن أقاموا تحالفات مع الدولة العثمانية، وبدؤوا يشجعون إمارات الخليج العربي والجزيرة العربية على التمرد.

وعلى الرغم من أن المشاريع الروسية السابق ذكرها فشل أغلبها ولم تتحقق الأهداف المنشودة لها، فإن ذلك لم يكن كافياً لطمأنة بريطانيا، ولهذا فقد واصلت جهودها لمواجهة الأطماع المختلفة، وذلك من خلال الجهود الجبارة التي قامت بها "للحيلولة دون زيادة النفوذ الألماني العثماني والروسي في الكويت"⁽⁷⁴⁾، حتى إن بريطانيا حذرت ألمانيا من المساس بعلاقتها الخاصة مع الكويت، وأبلغت السفير الألماني في القسطنطينية بوضوح أن الشيخ ليس حراً في التنازل عن أراض لشركة حديد بغداد دون إذن من الحكومة البريطانية⁽⁷⁵⁾، وأنه يجب على ألمانيا أن تتفق مسبقاً مع بريطانيا في شأن مد خط بغداد الحديدي حتى الكويت⁽⁷⁶⁾، بعد زيارة وفد القنصل الألماني العام في الآستانة شتمريخ⁽⁷⁷⁾ الكويت في يناير 1900 ودخوله في مفاوضات مع الشيخ مبارك بشأن إمكانية مد خط سكك حديد بغداد⁽⁷⁸⁾.

وقد تزايدت وتيرة المعارضة البريطانية محذرة الحكومة الروسية من خلال

سفيرها بلندن اللورد ديربي Derpy Edward Stanley من انتهاز فرصة حربها مع الدولة العثمانية للقيام بأي عمل عدائي موجه لها في الخليج العربي⁽⁷⁹⁾، وقد عبر عن هذه المخاوف وحذر منها وزير الخارجية البريطاني سالزبوري Robert Cecil Salisbury⁽⁸⁰⁾ بقوله: "إن مشاريع روسيا في المنطقة ستحول بلاد الشام والعراق وشرقي الجزيرة العربية إلى منطقة نفوذ روسية"⁽⁸¹⁾، في حين اعتبر اللورد كيرزون Curzon أن "إهانة كبرى ستلحق ببريطانيا لو سمحت للروس ببناء أي قاعدة لهم هناك"⁽⁸²⁾. هذا في الوقت الذي أبدت فيه بريطانيا اهتماماً كبيراً بتقرير القنصل العام البريطاني في بغداد لوخ Lookh، وتخوفه من الخطط والتحركات الروسية لتحويل الكويت إلى قاعدة خاصة بها للفحم⁽⁸³⁾.

وعبرت تصريحات كبار المسؤولين في الحكومة البريطانية عن عزمهم الاحتفاظ بالحالة الراهنة في الخليج.

ولذا، فإنه في الوقت الذي لا تنكر فيه بريطانيا على روسيا تقدمها في شمال فارس، فإنه ينبغي على روسيا الاعتراف ببريطانيا بمثل هذا في الجنوب، وكان الاعتقاد السائد لدى هؤلاء المسؤولين أن بريطانيا إذا سمحت لروسيا بالتمركز في بندر عباس فمعنى هذا أنها تكون قد تنازلت لروسيا عن مراكزها في الخليج، لذا ينبغي الوقوف بحزم أمام الروس⁽⁸⁴⁾.

وفي هذا السياق أكد اللورد كيرزون Curzon عام 1901م أهمية سيطرة بريطانيا بشكل كامل على جنوب إيران والخليج العربي، مشيراً إلى جدية الروس في كسب نفوذ سياسي بواسطة الأعمال التجارية وإنشاء خط السكك الحديدية ومحطة تزويد السفن بالفحم على إحدى الجزر الخليجية، ونبه كيرزون Curzon على خطورة حصول الروس على ميناء في منطقة الخليج العربي وما قد يتبع ذلك من تمركز للسفن الروسية في المنطقة، وسيطرتها على الوضع هناك، ومن ثم إمكانية الامتداد إلى آسيا لاحقاً. لهذا نصح كيرزون Curzon حكومته بإيجاد صيغة للتفاهم مع روسيا على مناطق النفوذ⁽⁸⁵⁾، خاصة بعد أن أدى ظهور العديد من شركات الملاحة العالمية الأوروبية في الخليج إلى التقليل من الاحتكار البريطاني للملاحة هناك.

وقد ازداد الموقف البريطاني إزاء الطموحات الروسية تشدداً في أعقاب حرب البوير، وتجلى هذا واضحاً في التصريح الذي أدلى به اللورد لانزدون Lansdowne Henry في مجلس اللوردات في 5 مايو 1903م، وذهب فيه إلى القول: "إن سياستنا في الخليج يجب أن تتجه في الدرجة الأولى إلى حماية التجارة البريطانية في هذه المياه، وفي الدرجة الثانية لا أرى أن هذه الجهود يمكن أن تقف حائلاً دون التجارة المشروعة لأي دولة أخرى، أما في الدرجة الثالثة فيجب أن نعتبر أن تأسيس أي دولة أجنبية لقاعدة بحرية أو ميناء محصن في الخليج مضاد للمصالح البريطانية ويتحتم علينا أن نقاوم ذلك بكل ما لدينا من وسائل" (86).

الحماية الروسية (1901م)

تشير الوثائق السرية الروسية إلى أن الشيخ مبارك، وفي إطار محاولاته المتكررة الاستفادة من صراع القوى، طلب من روسيا عقد اتفاقية حماية، حتى إنه كلف عباس عليوف Abbas Aliof - في أثناء زيارته التي قام بها للكويت والتقى فيها الشيخ مبارك - أن ينقل شفهاً إلى كروغولوف Krogalov كل رغباته، وجاء فيها "نحن أوصيناه بأن يبلغكم بكل ما يدور في ذهننا" (87) وأنه على استعداد لتمكين الروس من اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان أمن الكويت كما أنه مستعد لرفع العلم الروسي إذا تطلب الأمر فوق أراضي الكويت المستقلة التي تؤول ملكيتها لآل الصباح، كما أنه، في حالة عدم تجاوب روسيا مع الشيخ مبارك سوف يلجأ مبارك إلى الجانب الإنجليزي (88).

وفي وثيقة أخرى كتب الشيخ مبارك "وإني أيضاً قد بلغت حضراتكم شفاهة بأنني ليس لي غنى عن وقوع أنظاركم والآن أيضاً بكتابي هذا ألتمس وقوع أنظاركم علينا" (89)، لهذا قام أوسينكو⁽⁹⁰⁾ oseenko مساعد القنصل الروسي العام في بوشهر بإخطار "كروغولوف Krogalov بالأمر برسالة جاء فيها" شيخ الكويت يطلب حمايتنا" (91).

وهذا ما أوجد صدى طيباً عند كروغولوف Krogalov الذي كان يأمل في

وجود فعالية سياسية روسية قوية على أرض الكويت؛ لذا فقد كتب إلى رؤسائه تقريراً في يونيو جاء فيه: "إننا أمام أمر حقيقة تاريخية جديدة يطالبنا الشيخ مبارك بمساعدته"، مبدياً رغبته في أن يتم تلبية طلب الشيخ⁽⁹²⁾.

وفي سياق هذا التقارب الواضح ومناورات الشيخ مبارك السياسية تذكر المصادر أنه قابل العالم الروسي بوغويا فلينسكي Pogaya vlensky المتخصص في علم الحيوان وعضو جمعية موسكو لخبراء الطبيعة ورحب به، وكان أوسينكو Oseenko قد أرسل خطاباً للشيخ مبارك في مارس يبلغه فيه بزيارة هذا العالم الروسي، وطلب من الشيخ مساعدته خلال فترة إقامته بالكويت، التي يتوقع أن تكون لمدة أيام، وبالفعل وصل بوغويا فلينسكي Pogaya vlensky إلى الكويت في إبريل واستقبله الشيخ جابر أيضاً، كما طلب منه الشيخ مبارك أن يبلغ الروس بأنه يعدهم أصدقاء مقربين له، وبحسب التقرير الذي رفعه العالم الروسي إلى أوسينكو Oseenko في 16 يونيو من العام نفسه، فإن الشيخ مبارك أبلغه "أنه على استعداد لتقديم العون للروس وطلب تبليغ سلامه الشخصي والخاص إلى القنصل العام الروسي في بوشهر السيد أوسينكو Oseenko والرغبة في التراسل معه"⁽⁹³⁾.

على أن الشيخ مبارك سارع وأحاط البريطانيين بخبر زيارة العالم الروسي فلينسكي Pogaya Vlensky للكويت؛ فأخبر الوكيل السياسي البريطاني بالأمر وهو ما قد يكون رغبة من الشيخ مبارك لفت نظر بريطانيا إلى أن روسيا ما زالت راغبة في تقديم العون له إذا أراد.

ولا شك أن هذا التحرك الروسي ما كان ليأخذ هذا الشكل من الاندفاع والجدية لولا النتائج والارتدادات السياسية التي عانتها بريطانيا في تلك الفترة خاصة صراعها مع ألمانيا وفرنسا، لذا وجدت روسيا أن الفرصة سانحة للاستفادة من البلبلة السياسية التي تعانيتها السياسة البريطانية.

على أن بريطانيا - على الرغم من متابعتها ومراقبتها لتحركات الروس - كانت على علم بأن الروس غير قادرين على تغيير الوضع لصالحهم، لذا فلم تكن تعول كثيراً على تلك اللقاءات، حتى إن تسريب خبر طلب الحماية الروسية

على الكويت قابله بريطانيا بالشك، بل إن المؤرخين ولاسيما في الكتابات البريطانية - في كثير من الأحيان - يشككون في صحة هذه المعلومات، على الرغم من ثبوتها في الوثائق الروسية، وحاولوا وصف التحركات الروسية بأنها تجارية واقتصادية في المقام الأول.

وكان التغلغل الروسي إلى الخليج العربي يضيف على نفسه الطابع التجاري أكثر مما هو عسكري؛ فبواخريهم كانت تجارية اهتمت بالتبادل السلعي بالأساس، وهو جانب خفف كثيراً من درجات الوصول إلى الصدام المسلح بين روسيا وبريطانيا في ذلك الوقت، وهو صدام لو حدث لكانت الكويت الخاسر الأكبر والوحيد فيه.

ولعل السؤال المطروح هنا هو: ما الأسباب التي جعلت مبارك يطلب الحماية الروسية؟

وقد تكون الإجابة أن مبارك اعتاد أن يضغط على الأطراف من مبدأ مصلحة الطرف الآخر؛ بمعنى أنه عمد إلى التعاون في تلك المرحلة مع الروس؛ لأن طبيعة الظروف كانت تقتضي أن يكون هناك ضغط على الجانب الإنجليزي، مستشعراً في الوقت ذاته مدى الضغوط من قبلهم عليه، متطلعاً إلى تخفيفها بأي وسيلة تحفظ سلامة الإمارة وحدودها وأراضيها، ومن المعروف أن الطرف الذي يهم الإنجليزي هنا هو الطرف الروسي ومحاولة منعه من الوجود بالمنطقة، وقد يكون طلب الحماية من روسيا أيضاً مرهوناً من جانب الشيخ مبارك بالتفكير في الخريطة السياسية للجزيرة العربية وتوقف بريطانيا عن التدخل فيها والتهديدات التي يواجهها من قبل جيرانه، خاصة أن الشيخ مبارك - بطبيعة الأمر - قد تأثر من الوضع المتوتر الذي أحاط بالمنطقة كالمؤامرات التي كان يحكيها الأتراك وابن رشيد ويوسف الإبراهيم بجانب الوضع المتردد للإنجليز.

وقد عمد الشيخ مبارك إلى الضغط على الإنجليز لمساعدته بإبداء تعاونه مع الروس، وحاول لفت انتباه الإنجليز إلى أنه يملك أيضاً قدراً من الخيارات، ليس على المستوى الروسي فحسب بل هناك أيضاً قوى أخرى كألمانيا التي سعت بالفعل لذلك.

روسيا والحماية البريطانية على الكويت

بلغ الاهتمام الروسي بالأوضاع الداخلية في الكويت حداً جعل قناصلهم في العراق وغيرها يطلعون حكومتهم بدقة على كامل الأحداث الداخلية والخارجية فيها، حتى إن كروغولوف Krogalov رفع تقريراً إلى حكومته في شهر يونيو 1898م، أشار فيه إلى الخطر الذي يمثله ابن رشيد حاكم حائل على الكويت، وعن وجود نية لدى حاكم قطر جاسم آل ثاني وكذلك يوسف الإبراهيم لتهديد الكويت، والدور الموكول للبريطانيين في التصدي لهم خاصة بعد الوضع المقلق للشيخ مبارك، والذي أرجعه إلى المؤامرات التي تحاك ضده من قبل الدولة العثمانية وابن رشيد من جهة والتردد البريطاني في مساعدته من جهة أخرى⁽⁹⁴⁾.

وفي إطار تلك المحاولات للنفوذ إلى الأوضاع السياسية هناك حاول الروس حل الخلافات بين الكويت والدولة العثمانية بعد أن توترت العلاقات إثر حادثة إنزال العلم العثماني من فوق قصر الشيخ، الذي تناولته الصحافة الروسية في صدر صفحاتها واعتبرته عملاً استفزازياً للدولة العثمانية⁽⁹⁵⁾.

ومع ذلك لم تلجأ روسيا إلى حث العثمانيين على القيام بعمل عسكري حتى لا تستغله بريطانيا في تعزيز وجودها، ولهذا ناشد السفير الروسي في اسطنبول السلطان عبد الحميد عدم القيام بأية أعمال عدائية قد تتسبب في توتر الوضع السياسي هناك⁽⁹⁶⁾، هذا في الوقت الذي كان فيه الإنجليز يتابعون بدقة زيارات القناصل الروس للمنطقة، حتى إن الوثائق الإنجليزية كانت حريصة على الإشارة إلى زيارة القناصل الروس بشكل عام، ومنها زيارة القنصل الروسي وسكرتيه مع قائد السفينة الروسية جيلياك⁽⁹⁷⁾ Giliak وإعراهما عن قلق السياسيين الروس من تزايد النشاط البريطاني في الكويت والمنطقة عامة⁽⁹⁸⁾، إلا أن المصادر الإنجليزية قللت من شأنها، فوصف البريطاني لوريمر Lorimar هذه اللقاءات بأنها تحت مستوى الأهمية.

والحقيقة أن فكرة تحول منطقة الخليج العربي إلى ساحة استقطاب

وصراع، أو تجاذب عسكري بين القوتين البريطانية والروسية، لم تكن مطروحة - على الأقل خلال المدى المنظور - من جانب السياسيين البريطانيين أو الروس، ولكن بحث روسيا عن دور دولي وتحقيق مصالح اقتصادية، وكذلك رغبتها الحثيثة في تنشيط دورها في المنطقة والفوز بوجود ونفوذ فعلي فضلاً عن مساعيها لتحديد بعض الأطراف الدولية التي تحاول النفوذ إلى عمقها الاستراتيجي - كان أبرز ما يفكر فيه السياسيون الروس، ولاشك أن بريطانيا في عقدها اتفاقية الحماية مع الكويت كانت أبرز واجهة حاولت بها تبرير هذا الوضع هي منع الظهور والتحجيم للطموحات الروسية أو غيرها بالمنطقة⁽⁹⁹⁾.

وقد أشارت المصادر إلى أن الشيخ مبارك خلال لقائه مع مساعد المقيم البريطاني في سبتمبر 1897م، طلب إعلان الحماية الإنجليزية على الكويت وكرر الطلب في العام التالي، بيد أن طلبه قوبل بالرفض من قبل حكومة لندن⁽¹⁰⁰⁾، ولما كانت التحركات الروسية في منطقة الخليج العربي وخاصة الكويت، تُراقب بدقة من جانب بريطانيا التي أدركت أن نجاح روسيا في زيادة نفوذها بمنطقة الخليج العربي لن يؤثر على مصالحها في المنطقة فحسب، بل سوف يؤثر على وجودها في الهند والمياه الشرقية بصفة عامة، لذا بادرت بقطع الطريق على كل تلك المحاولات بالنظر جدياً في أمر توقيع اتفاقية الحماية مع الكويت.

ولما كان الرفض الإنجليزي لعقد معاهدة حماية مع الكويت من قبل قد تزامن مع الضغوط السياسية على الشيخ مبارك على خلفية التوترات الحدودية والتهديدات العثمانية وغيرها كاتجاهه لبناء علاقات تعاون مع الروس متأثراً ببعض هذه الأوضاع⁽¹⁰¹⁾ تنبّهت بريطانيا لهذا الأمر، فقام المقدم مالكولم جون ميد Maed المقيم السياسي البريطاني الجديد في الخليج والقنصل العام في بوشهر بإرسال تقرير مساعد المقيم إلى كلكتا في الهند وأوصى "بقبول ما تضمنه"، مؤكداً الأهمية الاقتصادية والإستراتيجية لإمارة الكويت، وإمكانية جعلها المحطة النهائية في الخط الحديدي لبريطانيا العابر للجزيرة العربية (بورسعيد- العقبة - معان - الجوف - الخليج)، وذلك بعد أن تزايد القلق حيال النشاط الروسي في المنطقة⁽¹⁰²⁾.

ولما علم السفير الروسي في الآستانة باتجاهات الحكومة البريطانية لتوقيع اتفاقية الحماية مع الكويت، على الرغم من سريتها، نقل الخبر إلى بطرسبرج وقد كلف كروغولوف rogalov من قبل البلاط الروسي بالتحقق من صحة تلك الأنباء⁽¹⁰³⁾. ونزولاً عند طلب وزير خارجية بريطانيا سالزبوري Salisbury قررت بريطانيا عقد اتفاقية الحماية⁽¹⁰⁴⁾، ومن ثم صدرت الأوامر إلى (مالكولم جون ميد) في يناير 1899م بالتحرك صوب الكويت وعقد الاتفاقية مع الشيخ مبارك في 23 يناير 1899م، ولا سيما بعد أن رأى نائب الملك في الهند اللورد كيرزون Curzon أن أي مشروع حديدي يمتد إلى الكويت يهدد مركز بريطانيا ووجودها في منطقة الخليج.

وقد أشار البعض⁽¹⁰⁵⁾ إلى أن خلفية التحركات الروسية النشطة والمشاريع المزمع إقامتها بالكويت كان وراء مسارعة الحكومة البريطانية إلى القبول بتوقيع اتفاقية الحماية، التي ألزمت فيها الشيخ مبارك "بأن لا يقبل وكيلاً أو قائمقام من جانب أي حكومة أخرى، أوفي أي قطعة من أرضه، ولا يفوض، ولا يرهن، ولا يؤجر، ولا ينقل ملكية أي قطعة من أرضه دون أن يحصل على موافقة من قبل بريطانيا"⁽¹⁰⁶⁾، وكانت اتفاقية الحماية هذه ضربة موجعة تأثرت السياسة الروسية بها كثيراً⁽¹⁰⁷⁾، وألقت بظلال قاتمة على أنشطتها هناك بل على وجودها بالمنطقة ككل، بعد أن باتت تحركاتها مهددة بدرجة كبيرة من قبل الجانب البريطاني، لهذا أثار توقيع هذه الاتفاقية حفيظة الروس وامتعاضهم⁽¹⁰⁸⁾ بعد أن دخلت الكويت بها تحت نفوذ بريطانيا الفعلي، وجعلت منها المسؤول الأول عن سياسة الكويت الخارجية. و كرد فعل عليها فكرت روسيا في عام 1899م السيطرة على ميناء بندر عباس والجزر الواقعة في مضيق هرمز، وأن تكون نهاية للسكة الحديد التي تريد إقامتها⁽¹⁰⁹⁾.

هذا في الوقت الذي احتج فيه الروس لدى الشيخ مبارك على هذا الفعل، كما أشارت روسيا إلى أن عقد هذه الاتفاقية هو بمنزلة خرق للوضع الراهن في منطقة الخليج، كذلك احتج الروس لدى البريطانيين أيضاً معتبرين الاتفاقية موجهة ضدهم بالأساس، ومن شأنها عرقلة مشروع السكك الحديدية الروسية

المزمع إقامته بالكويت⁽¹¹⁰⁾. ولا يخفى أن روسيا وبريطانيا في هذا الوقت كانتا في طريقهما إلى صدام متوقع في ظل أوضاع سياسية معقدة خاصة أن تقسيم الصين ورفض حكومة القيصر اقتراح سالزبوري بتقسيم الإمبراطورية العثمانية، ألقى بظلاله القاتمة على مجمل العلاقات السياسية بين الطرفين⁽¹¹¹⁾.

كما أوصى السفير الروسي باستانبول زينويفوف Zenoviov الباب العالي أن يراجع المحاكم الدولية في شأن المعاهدة البريطانية الكويتية⁽¹¹²⁾.
بيد أن روسيا في النهاية وجدت نفسها مضطرة للتعامل مع الواقع الجديد الذي فرضته تلك الاتفاقية.

الخيارات الروسية الأخرى تدخل حلبة الصراع⁽¹¹³⁾

يمكن القول إن التحركات الروسية جسدت طموحاً كبيراً في الوجود على أرض الكويت وإن هذا الطموح لم يكن من قبيل تحقيق مكاسب اقتصادية أو وجود ومد نفوذ اسمي فقط؛ ففي الوقت الذي كان السفراء والقناصل والتجار والمبعوثون الروس يجوبون المنطقة، بدأت سفن الأسطول الروسي زيارات منتظمة ومحددة للموانئ يمكن أن نطلق عليه زيارات تحد للنفوذ البريطاني، ففي 4 مارس 1900م تحركت إحدى السفن العسكرية الروسية جيليلاك Giliak في الخليج العربي من ميناء البصرة تحمل على ظهرها⁽¹¹⁴⁾، القنصل الروسي ببغداد كروغولوف⁽¹¹⁵⁾ Krogalov، ووصلت إلى الكويت في 16 من الشهر ذاته على الرغم من ملاحقة السفن البريطانية لها، ولا سيما السفينة البريطانية سفنكس Sphinx التي كانت تلاحقها بعد مغادرتها ميناء البصرة⁽¹¹⁶⁾، وقد رحب الشيخ جابر بمن كان على متنها من الضيوف الروس في ظل وجود الشيخ مبارك في الصحراء، الذي بادر إلى مقابلتهم بعد الرجوع على الرغم من محاولة قبطان السفينة البريطانية سفنكس إقناعه بالبقاء في الصحراء وعدم مقابلة الروس، غير أنه لم يأخذ بهذه النصيحة⁽¹¹⁷⁾، وقد أشارت بعض المصادر البريطانية إلى أن اللقاء الذي جمع الطرفين الكويتي والروسي على ظهرها كان "عادياً"، ونفت



وجود أي محادثات أو مفاوضات على مستوى عال⁽¹¹⁸⁾، وهناك مصادر أخرى أشارت إلى أن كروغولوف Krogalov أبدى للشيخ مبارك استعداد بلاده لتقديم جميع المساعدات التي هو في حاجة إليها، مؤكداً أنه مفوض بالكامل من قبل حكومته للتصرف في هذا الأمر، ولعل هذا ما جعل بعض المصادر تذهب إلى أن الشيخ مبارك في المقابلة ذاتها مع القنصل الروسي قال له: إنه لا يثق في بريطانيا [كثيراً]⁽¹¹⁹⁾ منتقداً سياستها في الخليج العربي، كما كشف عن بعض الضغوط التي يمارسها الإنجليز على الكويت من أجل الحصول على موافقته على خط ملاحى منتظم لشركة (بريتش إنديا) يصل بين الكويت وبومباي⁽¹²⁰⁾، وهذا ما ذكرته الوثائق الروسية التي يمكن أن نقول إنها بالغت كثيراً في هذا الوصف، وإن جاز أيضاً فلا يعدو كونه من قبيل الحنكة السياسية للشيخ مبارك ومحاولته الإمساك بأوراق لعبة سياسية جديدة تدعم مركزه في المنطقة.

كذلك ظهر الطراد فارياغ Varyag في 21 ديسمبر 1901م في السواحل الكويتية واعتبر ظهوره علامة فارقة في التحرك البحري العسكري الروسي، خاصة أنه كان يعد أهم القطع البحرية الروسية⁽¹²¹⁾، وقد قوبل أوسينكو Oseenko سكرتير القنصلية الروسية ببغداد والبحارة الروس الذين كانوا على ظهره بمقابلة حارة من قبل الابن الأكبر للشيخ مبارك وولي عهده الشيخ جابر، وقد نوه القنصل الإنجليزى في البصرة بتلك الزيارة، وإن كانت الصحافة الإنجليزية الهندية قد تحفظت عليها واعتبرتها لا تمثل أهمية بالنسبة للتفوق البريطاني الموجود في الخليج العربي⁽¹²²⁾. يقول أوسينكو Oseenko عن تلك الزيارة: "في نهايتها ذكرني الشيخ برغبته في أن يرى السفن التجارية الروسية محملة بالبضائع والسلع الروسية بالكويت⁽¹²³⁾، وهذه الزيارة تزامنت مع بعض التوترات التي حدثت بين الكويت والدولة العثمانية حتى إن القنصل الروسي آدموف Adamoff أظهر تخوفه من تلك الزيارة وأرسل إلى زينوفوف Zenoviov السفير الروسي في استانبول الذي أصر على إتمام الرحلة طالباً في الوقت نفسه من أوسينكو Oseenko أن يكون على ظهرها⁽¹²⁴⁾، كذلك زار الطراد أسكولد

Skold الكويت في 12 ديسمبر 1902م وكان على ظهره القنصل الروسي في البصرة آدموف Adamoff، وقام البحارة بمشاهدة معالم المدينة، وتشير المصادر إلى أن آدموف Adamoff التقى مبارك مؤكداً في نهاية اللقاء أن الشيخ أبدى تجاوباً مع أهمية تحسين العلاقات مع روسيا بشكل شامل⁽¹²⁵⁾، كما نشطت في هذا العام سفن الأسطول العسكري الروسي البحري وأخذت تتردد على الخليج العربي بصورة كبيرة⁽¹²⁶⁾، حتى إن وثائق الأرشيف الروسي ذكرت أن زيارة الطرادين الروسيين أسكولد وبويارين كانت لها آثار إيجابية للحكومة الروسية⁽¹²⁷⁾، وبطبيعة الحال كان البريطانيون يراقبون هذه التحركات الروسية عن كثب، حيث أبدوا امتعاضهم منها، وأظهروا ذلك للشيخ أكثر من مرة، غير أن الشيخ كان يطمئنهم ويبلغهم بأن هذه الزيارات للسفن والطرادات الروسية واستقبال بحارتها ليس إلا من باب المجاملة للقنصل الروسي في البصرة⁽¹²⁸⁾.

وفي 5 مارس 1903م ظهر الطراد بويارين⁽¹²⁹⁾ وبصحبة إحدى السفن الفرنسية وعلى متنها حاجي عبد الرضا وحاجي أحمد وهما من أصل فارسي، وقد أخبرا الشيخ مبارك أن القنصل الروسي سوف يأتي في اليوم التالي لمقابلة الشيخ مبارك، كما كان على ظهرها أحد القناصل الروس⁽¹³⁰⁾، ولم يغادر هذا الطراد السواحل الكويتية إلا بعد ترتيب لقاء بين القنصل الروسي والشيخ مبارك⁽¹³¹⁾، وفي هذه الزيارة قدم القنصل الروسي للشيخ مبارك هدايا في بادرة لحسن نوايا الروس تجاه الشيخ مبارك، كما دلت تلك الزيارة على ترتيب مسبق بين روسيا وفرنسا خاصة أن السفينة الفرنسية إنفرييه كانت بصحبة الطراد، وقد قابل الوفد الزائر الشيخ مبارك، ووصفه أحد أعضائه بأنه كان رجلاً يثق في نفسه وإمكاناته، وهو ما يجبر الجميع على احترام قراراته⁽¹³²⁾. وعلى الرغم من قيام العديد من قطع أسطول البحرية الروسية وسفنها التجارية بزيارة الكويت وموانئ الخليج العربي - كالسفينة كورنيلوف Korniloff التي كانت ترسو في موانئ فارسية لبيع بضائعها - فإن الحقيقة الواضحة أنها كانت تمثل مراكز للاستطلاع والتجسس وجمع المعلومات مع الجانب التجاري، بالإضافة إلى إظهار القوة، لذا عاملت بريطانيا السفن التجارية - في كثير من الأحيان - وكأنها أساطيل

بحرية عسكرية⁽¹³³⁾، وفي مسار الزيارات التي قامت بها السفن الروسية إلى الكويت أيضاً، أرسل الروس إحدى سفنهم العسكرية للكويت في الثاني عشر من سبتمبر من عام 1904م حاملة رسالة للشيخ مبارك عن استعدادهم لحماية الكويت، إذا ما تعاون الشيخ مع العثمانيين واستقبل القناصل الروس والفرنسيين⁽¹³⁴⁾، وربما كانت هذه آخر المحاولات الروسية للدخول إلى الكويت، إلا أنها كمثيلاتها السابقة ذهبت أدراج الرياح وواجهت تشدداً بريطانياً كبيراً، وكان للتطورات والظروف التي تمر بها روسيا في ذلك الوقت وهزيمتها في عام 1904م في حربها مع اليابان⁽¹³⁵⁾، التي قضت على آمالها في التقدم نحو الجنوب دور في إجبارها في النهاية على توقيع معاهدة مع بريطانيا عام 1907م، تعترف لها بموجبها بنفوذها في أفغانستان وإيران والخليج العربي غير منازعة، بعد أن تقرر أن يضمهما إلى جانب فرنسا حلف في مواجهة ألمانيا والنمسا⁽¹³⁶⁾.

ومما لا شك فيه أيضاً أن الشيخ مبارك لم يكن على استعداد جدي لوجود أي قوى أخرى على أرض الكويت، أو أن تكون إمارته ساحة محتملة لمصادمات عسكرية بين أطراف استعمارية أياً كانت، فقد حاول الشيخ مبارك أن يطوع الأحداث بما يتلاءم ويتوافق مع مصالحه، وبما يستطيع به أن يخرج بأقل خسائر ممكنة خاصة أنه يرى أراضي ومناطق ودولاً أخرى كانت مسرحاً لصراعات الروس والبريطانيين والألمان والعثمانيين وغيرهم من القوى الاستعمارية، وكان اقتناع بريطانيا بأن حصول روسيا على مصالح في منطقة الخليج العربي سوف يعمل على تصفية الوجود البريطاني، وهو ما لم يكن يخطر ببال السياسيين البريطانيين أو يكونوا مستعدين لقبوله، وهذا ما أدركته روسيا في نهاية الأمر بعد هزيمتها أمام اليابان، والضعف الذي حل بها خارجياً وداخلياً، وأنها لن تستطيع الصمود في وجه البريطانيين أو منافستهم في آسيا في ظل الظروف والمستجدات الدولية المتعددة، وكان من نتيجة هذا الاقتناع - فيما بعد - عقد اتفاقية بطرسبرج في عام (1907م)، ومن ثم ابتعاد روسيا عن

التحركات التي كانت تقوم بها تجاه الكويت، واحترام نفوذ بريطانيا في منطقة الخليج العربي.

على أنه - وبالنظر إلى تسلسل الأحداث - يمكن القول إن ضغوط بريطانيا وأطماعها والتنافس القوي بينها وبين بقية الدول الأوروبية - كألمانيا وفرنسا - أوجدت نوعاً من الشك والريبة لدى الشيخ مبارك، ومن ثم كان الترحيب بأي قوى منافسة تخفف الضغط على الإمارة والمنطقة أمراً بديهياً، واستطاع الشيخ مبارك أن يعلن - ولو بشكل خفي من خلال تلك الزيارات للسفن الروسية - أن لدى الكويت خيارات سياسية أخرى يمكن أن تتخذها في أي وقت، ولاسيما أن المحاولات الروسية أخذت الصبغة التجارية والاقتصادية؛ مما أوجد نوعاً من الاطمئنان الحذر ناحية الروس، كما كان لسياسة الترغيب التي استخدمها الروس أثر طيب عمل على تهدئة الكثير من المخاوف.

ولقد أدرك الشيخ مبارك هذا، وحاول الاستفادة من الخلاف الروسي البريطاني، غير أن فطنته إلى أن السياسة الإنجليزية كانت ذات نظرة أعمق وأبعد في هذا التنافس جعلته يرجح وضع الروس في كثير من الأحيان في مواقف صعبة أمامه وعطل كثيراً من مشاريعهم وتطلعاتهم في الكويت، كما كانت التحركات الإنجليزية أحد المحاور التي أضعفت هذه المشاريع والتطلعات أيضاً، وليس أدل على هذا وفاقهم الودي مع اليابان، الذي كان له أثر كبير في تحويل روسيا عن المجال الآسيوي إلى المجال الأوروبي، كما عملت بريطانيا على إضعاف القدرات العسكرية الإقليمية لجميع القوى - بما فيها الكويت نفسها - لإدامة وجودها بشكل مباشر أو غير مباشر، وجاءت هزيمة روسيا في نهاية الأمر أمام اليابان بداية لتوقف المشروع الروسي للوجود بمنطقة الخليج العربي.

وقد فطن الشيخ مبارك إلى أن بريطانيا تميزت عن غيرها من القوى بشمولية سياستها الأمنية واتزانها وبعد نظرها؛ ففي الوقت الذي عززت فيه تحالفاتها في المنطقة أصبحت لها مراكز تجارية مهمة في كثير من مدن الخليج

وموائته، وعلاقات خاصة مع أصحاب السلطة والنفوذ الذين يمتلكون صناعة القرار.

وقد استفاد الشيخ مبارك من هاجس المخاوف البريطانية و احتمال إنهاء خط بغداد الحديدي ليدفعها إلى مساعدته في حروبه ضد مناوئيه.

وكان مبارك مدركاً أن ميزان القوى في غير صالحه وأن الكويت معرضة للخطر ما لم تنأ بنفسها عن تلك الصراعات، ويلاحظ أن التوجهات الروسية نحو الكويت كانت - في مجملها - غير مقبولة من أطراف دولية كبرى، وهو ما ساعد على وأدها مبكراً؛ فقد وصفها لوريمر Lorimar بقوله: إنها "أفلاطونية خيالية" (137)، وبذلك يمكن القول إن الشيخ مبارك و بريطانيا أسهما بشكل كبير وفعال في إفشال التحركات الروسية، حيث تراجعت الأهداف الأيديولوجية الاستعمارية أمام مواجهة التحديات السياسية والاقتصادية الموجودة بالفعل للقوى البريطانية المتوطنة، كما أن التحركات الروسية كان يتم صدها أو تطويقها منذ البداية سواء من قبل الشيخ مبارك أو من قبل التشدد البريطاني، وهو ما عمل على تصفيتها في النهاية بأقل الخسائر الممكنة (138). هذا كله على الرغم من وجود علاقة خاصة للكويت مع الدولة العثمانية، ووجود تطلعات وتحركات روسية، ومحاولات ألمانية، وطموحات فرنسية وفارسية، وصراعات محلية حدودية "ابن رشيد من الغرب والشمال الغربي، وقبائل قطر بزعامة الشيخ جاسم آل ثاني من الجنوب" (139)، والوجود الإنجليزي ذي النفوذ الأقوى والأوسع، إلا أن مبارك استطاع أن يستفيد من هذا التنافس لمصلحة إمارته بشكل كبير، خاصة إذا ما قارنا وضع الكويت وتشابهه مع الأوضاع السياسية في المحمرة آنذاك، التي عصفت بها في النهاية وأدت إلى ضياعها، لكن من المهم أن نرصد أن الروس إذا كانوا فشلوا في تحقيق نفوذ سياسي مستقر لهم في الخليج، وبخاصة الكويت، بسبب النفوذ البريطاني وجهود الشيخ مبارك للنأي بإمارته عن هذا الصراع والتنافس، فإنهم - الروس - نجحوا في المحافظة على تجارتهم بالمنطقة دون انقطاع (140).

الخاتمة

لا شك أن الروس حاولوا بكل قوة إيجاد منفذ لهم في الكويت، وقد سعوا لتحقيق ذلك بشتى الوسائل والطرق، بيد أنهم كانوا يجدون صعوبات كبيرة؛ مما دعاهم في يناير 1900م إلى التصريح من قبل وزير خارجيتهم مورافيوف Morveev بعد فشل مشروع سكك الحديد بأن الروس استبعدوا فكرة المشروع لأسباب سياسية ومالية؛ لأن قيامه قد يفتح الباب لغزو البضائع البريطانية لبلاد فارس؛ مما قد ينعكس سلباً على التجارة الروسية فيها.

من هنا نستشف أن قيام الروس بالإعلان عن الصعوبة في قيام بعض المشاريع لوجود أسباب سياسية ومالية لهو تصريح ضمني بصعوبة إيجاد نفوذ فعلي لهم بالكويت ومنطقة الخليج العربي، كما دل على أن الكويت لم تكن تقبل بوجود روسي على أراضيها يعطي لها الحق - فيما بعد - لما هو أبعد من مجرد الوجود، خاصة بعدما ظهر لهم أن الشيخ مبارك، على الرغم من طلبه الحماية منهم، لم يكن جدياً فيها، بل على العكس، توحى أغلب توجهاته برفضه العروض الروسية، وفي الكثير من الأحيان عمل على إضعافها.

كما أن الكويت منذ البداية لم تتصادم مع هذه التطلعات الروسية بطريقة مباشرة على الرغم من ضغط القوى الموجودة.

على أن الروس إذا كانوا قد فشلوا في تحقيق قدر من النفوذ السياسي المستقر بالكويت أو الخليج العربي عامة، فإنهم استطاعوا المحافظة على قدر معقول من التجارة لهم في المنطقة مستخدمين سياسة متوازنة في بعض الأحيان، وسياسة الضغط والقوة أحياناً أخرى، للحصول على بعض الامتيازات، كما حاول الروس الالتفاف على الأوضاع الموجودة في كثير من المرات؛ فقد رفضت روسيا عرضاً في عام 1896م من بريطانيا، يهدف إلى تقسيم أراضي الدولة العثمانية وفيه تسيطر روسيا على مضيق الدردنيل والبوسفور، مقابل سيطرة بريطانيا على أغلبية المناطق العربية، بيد أن الأطماع والتوجهات الروسية في المنطقة لم تكن ترضيها مثل تلك الاتفاقية التي لو تمت لكانت ستحد كثيراً من تحركاتها لفرض نفوذها في المنطقة، وهو ما يؤكد أن السياسة الدولية، تتغير بحسب تغير الاستراتيجيات والقواعد باستمرار.

الهوامش والمراجع

- (1) إن ما يحملنا على القول بأن هناك كثيراً من التحليلات لأوضاع هذا الفترة رافقها الغرض والهوى من قبل مؤرخيها هو التضارب الواضح بين كثير من الوثائق في الأرشف الروسي والكتابات البريطانية المختلفة، مثال ذلك أن بعض المصادر الإنجليزية تزعم أن الشيخ مبارك لم يطلب مطلقاً عقد اتفاقية للحماية بين روسيا والكويت على الرغم من أن وثائق الأرشف الروسي ذاتها توضح لنا أن هناك رسائل موجهة من الشيخ مبارك إلى السلطات الروسية تلمح إلى عقد اتفاقية للحماية. راجع: أرشف السياسة الخارجية لروسيا، الأرشف السياسي، الملف 354، الورقة 25، وثيقة رقم 1 - أيضاً - لوريمر، ج.ج، دليل الخليج، القسم التاريخي، أربعة عشر جزءاً، ج1، طبعة منقحة، قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، قطر، د. ت، ص 575.
- (2) (كابنيسست - Count Vladimir Kapinist) أحد كبار رجال المال والأعمال الروس في هذه الفترة، وشقيق للسفير الروسي في فيينا، ويعد المشروع الذي تقدم به من أشهر مشاريع السكك الحديدية المزمع إقامتها في هذا الوقت بمنطقة الخليج العربي، وكان مقررأ له أن يربط ما بين طرابلس على البحر الأبيض المتوسط والكويت ماراً بالشام، متفرعاً منه بعض الخطوط إلى خانقين و بغداد، وقد سمي فيما بعد خط حديد بغداد. للمزيد راجع - لوتسكي، فلاديمير: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني، مراجعة: يوري روشين، ط8، بيروت: دار الفارابي، 1985م، ص 64 - 82.
- (3) تولى السلطة في روسيا بنهاية القرن السابع عشر 1688م، وأدرك مدى القوة التي يمكن أن ينالها الروس باحتلالهم القوقاز، وكان يدفع روسيا دائماً إلى التطور الحضاري والتقدم الصناعي، ويرى أن أهم عوامل الرقي والازدهار والسيطرة هي العوامل الاقتصادية، كما اتسعت حملاته وطالت كثيراً من بلدان الجوار، وكانت سياسة بطرس الأكبر تركز على فتح آفاق جديدة في البلطيق والبحر الأسود ودول الجوار، وهو ما سارت عليه السياسة الروسية بعد ذلك في علاقاتها الخارجية. للمزيد راجع، هيو، ليندسي: سيرة حياة بطرس الأكبر، د. ط، لندن: مطبوعات جامعة بيل، 2004، ص 14 - 36.
- (4) - Sir Persi Sykes, A History Of Persia, Vol11, London, 1951, P. 254.
- (5) نقلاً عن أبا حسين، علي: لمحة حول العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية بالبحرين، العدد 35، السنة الثامنة، يناير 1999، ص 30.
- (6) وهي المعاهدة التي بمقتضاها تنازلت الدولة العثمانية عن بلاد المجر وإقليم ترانسلفانيا للنمسا كما تنازلت عن بعض المدن لروسيا أيضاً.
- (7) "استمرت إمبراطورية الهابسبورغ تلحق بها الهزائم المتتالية حتى انتهت الحروب بين الدولتين بعقد المعاهدة كارلوفيتز" التي حدت كثيراً من طموح الدولة العثمانية في التوسع.
- (7) أنيس، محمد: الدولة العثمانية والشرق العربي 1514 - 1914م، د. ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م، ص 168.
- (8) الدولة العثمانية والشرق العربي 1514 - 1914م، ص 168.

- (9) الدولة العثمانية والشرق العربي 1914-1514م، ص 169 .
- (10) النجار، مصطفى: التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية 1897 - 1925م، د. ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص 181 - 182 .
- (11) R. W. Seton Watson, Disraeli, Gladstone and The Eastern Question, London, 1962, P. 422.
- (12) العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي، ط1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1974، ص 223 .
- (13) العيدروس، محمد حسن: العلاقات العربية الإيرانية 1921 - 1971م، الكويت: منشورات ذات السلاسل، ط1، 1985م، ص 50 - 51 .
- (14) التيارات السياسية في الخليج العربي، ص 224 .
- (15) عبد الله، محمد مرسي: دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، ط1، الكويت: دار القلم 1984م، ص 37 .
- (16) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا " السفارة في الآستانة " الملف 1244، الورقة - 77 نقلاً عن، بونداريفسكي، " الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، ترجمة: ماهر سلامة، ط1، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 1994م، ص 160 .
- (17) الدولة العثمانية والشرق العربي 1914-1514م، ص 236 .
- (18) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 161 .
- (19) الدولة العثمانية والشرق العربي 1514 - 1914م، ص 202 .
- (20) السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط في (دراسات في السياسة والاقتصاد والقانون)، مجموعة المحاضرات التي أقيمت في الندوة الدبلوماسية التي نظمتها وزارة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة في أبو ظبي في عام 1978، ص 154 .
- (21) تجدر الإشارة إلى أن بعض المراجع تعزو تلك الأحداث وواقعة الانقلاب إلى أمور شخصية بحتة. راجع: الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 92 .
- (22) من أكبر تجار الكويت كان عضواً مساهماً بإحدى الشركات الكبرى في بومباي، التي كانت مملوكة لشقيقه بالهند، و يذهب لوريمر إلى أن يوسف الإبراهيم قريب لأسرة الصباح وعلى علاقة مصاهرة بهم، حيث يقول: "إن علاقة يوسف بأسرة الصباح علاقة معقدة بعض الشيء، فعلي بن جابر، وهو أصغر إخوة الشيخ صباح شيخ الكويت، تزوج صغرى بنات علي بن محمد بن إبراهيم، وهي شقيقة والده يوسف الإبراهيم، وأنجب منها ثلاث فتيات، تزوجت كبراهن (الشيخة هيا) من الشيخ محمد وأصبحت أم أبنائه - صباح وسعود وخالد وعذبي، وتزوج الوسطى (الشيخة منيرة) الشيخ جراح، وأنجبت منه حمود، وفتاة التي تزوجها ابن عمها صباح بن محمد، وتزوج الثالثة الشيخ مبارك العذبي ابن عم أبيها، وولدت له يوسف " -

لوريمر، الكويت في دليل الخليج، ج1، جمع المادة ونسقتها وعلق عليها: خالد سعود الزيد، ط1، الكويت: الربيعان للنشر والتوزيع، 1981، ص 143. أيضاً راجع - الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 91.

(23) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 97.

(24) القنصل العام الروسي في بغداد التقى مع مبارك واجتمع به، ويعد من أهم المحاور التي دعمت التحركات الروسية، وكان يجيد اللغة الفارسية بجانب العربية، للمزيد راجع: الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 97.

(25) للمزيد راجع غانم، سلطان: جوانب من شخصية الكويت، ط1، الكويت: مؤسسة علي الصباح للنشر والتوزيع، 1990م، ص 120. أيضاً لفتنانت كولونيل. سير أنولد ت. ويلسون: "تاريخ الخليج"، ترجمة: محمد أمين عبد الله، مسقط: وزارة التراث القومي للثقافة، 1981م، ص 179-203.

(26) الصباح، سعاد: مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة، الكويت، ط1، الكويت: دار سعاد الصباح، 2007، ص 305.

(27) تاجر أرمني حصل على الجنسية الروسية، كان يعيش في بغداد، بحجة شراء الفرو، وقد زار الكويت مع عباس عليوف في عام 1899م، والتقيا الشيخ مبارك وناقشا معه بعض الأوضاع، منها خط سكك حديد بغداد. وقد أرسلنا من طرف " كروغولوف " Krogalov للتأكد من صحة المعلومات التي تلقاها الباب العالي من إبرام اتفاقية الحماية الكويتية البريطانية. للمزيد، راجع: الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 211.

(28) أرشيف الدولة التاريخي المركزي لروسيا، المجموعة 22، القائمة 2، الملف 2330 الأوراق 1-2، المجموعة 40 القائمة I، الملف 53، الأوراق 40-41، صيرماتنيكوف، س. ن. دراسات الخليج العربي (مجموعة قسم آسيا الوسطى) سان بطرسبرغ 1907، ص 24. نقلاً عن بونداريفسكي، الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، هامش 9، ص 217.

(29) كان رجال المال والأعمال الروس في تلك الفترة مهتمين بدرجة كبيرة بالأوضاع السياسية؛ لإدراكهم أن التغلغل الاقتصادي القائم على تنفيذ المشاريع الكبرى سيجعل لروسيا وجوداً تجارياً ضخماً يعطل التجارة الإنجليزية في الخليج، التي كانت تنافس البضائع والتجارات الروسية بشكل أساسي - انظر، أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (القسم الفارسي) الملف 4064، الأوراق من 19-9، مجلة الاجتماع الخاص بإقامة العلاقات التجارية المباشرة مع موانئ الخليج العربي. نقلاً عن الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 218.

(30) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 272.

(31) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 218.

- (32) الدوسري، نادية وليد: **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي، 1297 - 1325هـ/ 1880-1907م**، ط1، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 2002م، ص 141.
- (33) الصحافة الروسية كانت على مستوى الأحداث بالخليج؛ فقد كتبت مهاجمة الدبلوماسية الإنجليزية بشدة على محاولاتها المتكررة إقصاء أي وجود بالمنطقة للروس، عارضة وجهة نظرها بأن الخليج يتميز بموهبة إثارة وفتح شهية كل الحكومات، غير أن بريطانيا تتحرك منفردة، دون أي اعتبار لحقوق الآخرين، ومستحوذة لنفسها على الامتيازات، وفارضة القوانين، متصرفة كأن الخليج ملكية خاصة بها، كما تزعم أن الكويت تابعة لها بالكامل، وهناك من الصحف ما اعتبرت أن ما تقوم به بريطانيا بالخليج، وخاصة في الكويت، سياسة اغتصابية يجب التصدي لها بشكل حازم، وأن التصرفات الإنجليزية بالخليج العربي تعد من قبيل التصرفات الهمجية، نقلاً عن بونداريفسكي، الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 289.
- (34) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325هـ / 1880-1907م، ص 134.
- (35) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (السفارة في الآستانة)، الملف 1243، الأوراق 105 - 108، نقلاً عن الخصوصي، بدر الدين عباس: **دراسات في تاريخ الخليج العربي**، ط1، الكويت: ذات السلاسل، 1988م، ص 120.
- (36) دليل الخليج العربي، ج1، ص 531.
- (37) دليل الخليج العربي، ج1، ص 530.
- (38) الحمداني، طارق نافع: العثمانيون والروس في الخليج العربي، دراسة في العلاقات السياسية بينهما 1878 - 1907م، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية بالبحرين، العدد 216، يناير 1990، ص 97.
- (39) بونداريفسكي: "الدبلوماسية الروسية ومشكلة الكويت سنة 1901م"، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، عدد 12، 1977م، ص 123 - 130.
- (40) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (الأرشيف السياسي)، الملف 3195، الورقة 158 - نقلاً عن بونداريفسكي، الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 251، حاشية رقم 46.
- (41) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 241.
- (42) خزعل، حسين خلف: **تاريخ الكويت السياسي**، ج2، ط1، الكويت: دار الهلال، 1962، ص 132 - 133.
- (43) لا شك أن المساعدات العسكرية التي قدمتها بريطانيا للشيوخ مبارك في بعض الأوقات وفي حروبه المتعددة، خاصة مع ابن رشيد ومواجهة النشاطات العسكرية العثمانية، كان لها أثر كبير في خشية مبارك أن يفقد هذا التحالف القوي بينه وبين بريطانيا؛ مما كان يدعوه في كثير من الأحيان للتمسك بالجانب البريطاني بصورة كبيرة، خاصة أن بريطانيا تدخلت في العديد من المرات بشكل علني للدفاع عن الكويت عسكرياً كإرسال قطع من أسطولها العسكري

للحماية . كذلك أرسلت السير ن. أوكونور N.Oconor لتحذير السلطان العثماني لتجنب الإظهار غير الضروري لأي نشاط في الكويت، وقد عبر الشيخ مبارك عن موقفه بأنه لن يكون في وضع المتفرج أو المتلقي للضربات أو المستقبل للقرارات من الجانب العثماني . للمزيد راجع (FO-78/5174/34840,FO.SEPTEMBER M7TH M1901 M DRAFT SIR N. OCONOR M PARAPHRASE OF TELEGRAM, NO, 130M KOWEIT) نقلاً عن الدوسري: محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي - 1297 - 1325 هـ / 1907-1880 م، ص 171 - 172 - كذلك راجع الخصوصي: "النشاط الروسي في الخليج، 1887 - 1907 م"، الكويت: مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد 18، إبريل 1979 م، ص 120، 121.

(44) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا " السفارة في الآستانة " الملف 1245 الأوراق (92-97) - (122-125)، نقلاً عن بوندرافسكي، الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 149.

(45) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1907-1880 م، ص 135.

(46) كمساعدة العثمانيين لابن رشيد في حربه مع الشيخ مبارك F.O. -78 /5174/34840, DRAFT SIR N. O, CONOR PARAPHRASE OF TELEGRAM NO. 130, FO, SEPT, 7 th, 1901, Kuwait. نقلاً عن الدوسري: محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1880-1907 م، ص 135.

(47) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (السفارة في الآستانة) الملف 1245، الأوراق 185-186، وثيقة رقم 3.

(48) النشاط الروسي في الخليج، 1887 - 1907 م، ص 117.

(49) (India Office/p s /20/ c/ Russian Activities, In p.g) نقلاً عن، إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي 1858-1914 م، دراسة وثائقية، الرياض: مطبوعات دار الملك عبد العزيز، 1982، ص 287.

(50) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 160.

(51) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 160.

(52) - HARDINGE OF PONSURST, LORD C, OLD DIPLOMACY: THT REMINISCENCES OF, (LONDON, 1947) P. 65.

(53) - BUSCH, Op. Cit,vol. LI, p. 310.

(54) مظفر الدين شاه (1314هـ - 1324هـ / 1896م - 1906) ومحمد علي شاه (1325هـ - 1331هـ) / (1907م - 1912م) - نقلاً عن الدوسري: محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1907-1880 م، ص 59 - 60.

(55) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1907-1880 م، ص 59.

(56) انظر: زكريا، قاسم جمال: دراسة لتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة 1914-1840، ط2، الكويت: دار البحوث العلمية، 1974، ص 399، ويذكر أيضاً أن السفير الروسي في الآستانة

- نجح في أخذ موافقة الباب العالي على هذا المشروع. للمزيد يمكن الرجوع للخصوصي: "النشاط الروسي في الخليج العربي 1887-1907م". مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت: المجلد الخامس، العدد 18، إبريل 1979م، ص 117.
- (57) لمحة حول العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية، ص 37.
- (58) (اللورد كيرزون) George Nathaniel Curzon نائب الملك بالهند، وأحد أهم محرري الأحداث في الخليج العربي في ذلك الوقت، عين نائباً للملك في الهند في نهاية عام 1898م، ومن أهم توجهاته الاستعمارية في المنطقة عبارته المشهورة بتحويل الخليج العربي إلى "بحيرة بريطانية" - للمزيد راجع Curzon George N, Persia And The Persian Question (London 1982) 2vols- P.465
- (59) - Hurewitz, Y.C. Diplomacy in The Near and Middle East, 1958. p. 231
- (60) لمحة حول العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية، ص 37.
- (61) حراز، السيد رجب: "الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840 - 1909م"، ط 1، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1970م، ص 175-176.
- (62) - Arnold, Wilson Persian Gulf, London, 1954, P.252.
- (63) - Roland Shay: The Life of Lord Curzon, Vol III, London, Ernest Penn Ltd, 1958, P. 398
- (64) حاول الألمان كثيراً أن يتخذوا من الكويت ومنطقة كاظمة محطة نهائية لمشروع خط بغداد الحديدي، خاصة عندما حاولوا إقناع الشيخ مبارك في إبريل من عام 1900م بهذا الأمر، ولقد كان رد الشيخ عليهم: "نحن بدو بسطاء لا نزرع ولا نقيم البساتين، وليس لدينا أي مداخيل، فما لزوم هذا الخط الحديدي لنا وسط الصحراء". للمزيد راجع أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، السفارة في الأستانة، الملف - 1244، الورقة 76. كذلك انظر - المراسلات البريطانية بشأن خط حديد بغداد وتطورات الموقف - RECORDS OF KUWAIT 1899-1961, Vol 1, Op.Cit. Pp. 427-482 From Shekh MUBARAK TO POLITICAL RESIDENT MEAD, BUSHIRE M JANUARY 13, 1990
- (65) - FO- 406-15, Affairs of Kuwait, 1990.No.12.Sir. N.O, Conor To The Marquess of Salisbury - (Received February 5) no 81. (Confidential) Constantinople, January 26, 1900
- (66) خاصة أن روسيا لها وجود قوي على الجانب الآخر من الخليج العربي في إيران. للمزيد راجع: النشاط الروسي في الخليج العربي، 1887 - 1907م، ص 118.
- (67) الصباح، ميمونة: الكويت حضارة وتاريخ، المجلد الأول، ط 1، الكويت: د. ن، 1989 م، ص 120.
- (68) - Graves Philip, The Life of Sir Percy Cox, London Hutchinson & Company Ltd, 1941. p. 101.
- (69) يمكن إرجاع التصميم الروسي الكبير على إنشاء قاعدة للفحم متأثرة في ذلك بالنزاع الفرنسي الإنجليزي واتفاقية فرنسا ومسقط سنة 1898 م حول إنشاء قاعدة في بندر عباس، وكان مقرراً

أن يكون هناك حلف يضم الاثنين معاً بجانب روسيا، غير أن كثيراً من الخلافات الروسية الإنجليزية، والإنجليزية الفرنسية أدت إلى تأخير هذا الحلف الذي انضمت إليه روسيا بالفعل في عام 1907م. للمزيد راجع: محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي، 1297-1325هـ / 1907-1880م، ص 129.

(70) وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط5، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1967م، ص 80.

(71) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325هـ / 1907-1880م، ص 93.

(72) النشاط الروسي في الخليج العربي 1887 - 1907م، ص 120.

(73) التيارات السياسية في الخليج العربي، ص 203.

(74) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 161.

(75) دليل الخليج العربي، ج1، ص 574.

(76) - GR Pol, Bd, XVIII5282

(77) لاشك أن الطموح الألماني لم يتوقف، في أي مرحلة من المراحل خاصة أنه يشاهد أمامه هذا التكاليف الهيب على المنطقة وحرص الجميع على الوجود وإيجاد موضع قدم في منطقة الخليج، والحقيقة أن ألمانيا بدأت مبكراً في التنبه لإنشاء خط سكك حديدي في منطقة الخليج العربي، فقد حاول الألمان منذ عام 1892م مد شبكة عبر آسيا الصغرى، حتى إن القنصل الألماني في بغداد (ريهارتس) رفع تقريراً في مارس من عام 1899م إلى رؤسائه في برلين، لفت فيه النظر إلى أهمية ميناء الكويت واستخدامه كمحطة للفحم، وفي عام 1899م أعلن السلطان العثماني عن مشروع خط حديد بغداد، الذي سوف ينتهي عند ميناء على الخليج العربي آنذاك، وفي يناير من عام 1900م وصلت البعثة الألمانية من المساحين لبغداد للمعاينة وجمع المعلومات، مترسلاً إياها القنصل العام الألماني في الآستانة شتمريخ، الذي حرص على زيارة الكويت في عام 19-20-1900م، وعلى الرغم من كل هذا لم يستطع الألمان فرض أنفسهم بالقوة، وذلك لكثير من الأسباب، أهمها عدم رغبة ألمانيا في إثارة المخاوف من ظهورها كقوة تهديد عسكري لدول المنطقة، وهذا ما جعل التحركات الألمانية في مجمل مراحلها تركز على الجانب الاقتصادي التجاري مبتعدة عن التلويح بالقوة العسكرية، خاصة بعد أن أثار موضوع خط بغداد والامتياز الذي حصلت عليه ألمانيا من الباب العالي ضجة كبيرة في الأوساط البريطانية والروسية؛ فقد اعتبرته روسيا مهدداً لأطماعها في الخليج العربي وشمال إيران، كما خشيت فرنسا أن يتسرب هذا النفوذ، ومن ثم إلى ولايات الشام، أما بريطانيا فقد نظرت إليه نظرة العداء والشك وعدم التقبل خاصة أنه قد أعقب هذه التحركات حصولها على امتيازات اقتصادية بين عامي 1900-1902م، غير أنها في نهاية الأمر فشلت في الحصول على أي وجود. للمزيد راجع: الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 144-145 - أيضاً، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص 208-209.

- (78) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 148.
- (79) دراسة لتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة 1840 - 1914، ص 391.
- (80) شغل سولزبري منصب وزير الخارجية ورئيس الوزراء، وقد توجه إلى الآستانة شخصياً في يوليو 1896م، وهو يحمل إحدى أهم المذكرات السياسية للمستشار القانوني للسفارة (ستيوارديس) حول الكويت، التي اعتمدت عليها السياسة البريطانية كثيراً، خاصة بالنسبة للوضع الاقتصادي للكويت. للمزيد راجع: الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 102.
- (81) أبو حاكم، أحمد: دراسات في تاريخ الكويت الحديث 1163 - 1385هـ / 1750 - 1965م، ط1، الكويت: ذات السلاسل، 1984م، ص 223.
- (82) - Bush Britom Copper: Britain and the Persian Gulf, 1894- 1914, Los Angeles, 1967, P.115
- (83) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، السفارة في الآستانة / FO 78/ Pro. I O/ 18- 11- 1980 - 5113 راجع: الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 117، حاشية 38.
- (84) النشاط الروسي في الخليج العربي، 1887 - 1907م، ص 127.
- (85) آل خليفة، عبد الله بن خالد: "من العلاقات الثقافية بين روسيا ودول الخليج العربية"، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية بالبحرين، العدد 35، يناير 1999م، ص 17.
- (86) النشاط الروسي في الخليج العربي 1907 - 1887م، ص 127 - كذلك راجع Browne, Persian Revolt of 1905 - 1907, London, 910, P.107 -
- (87) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا السفارة في الآستانة الملف 1245 الأوراق 201-202 - وثيقة رقم 2- نقلاً عن بوندرافسكي: الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 457، الملحق رقم 2.
- (88) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الأوراق 196-197- من وثيقة رقم 2 - كما نذكر هنا أيضاً دلالة على أن الشيخ مبارك كان يهدف من وراء تلك التحركات السياسية المزدوجة للحيلولة دون انفراد أي من القوى بإمارته، وفي هذا السياق ذكرت بعض المصادر أن الشيخ مبارك هدد - سلفاً في حالة عدم حصوله على اتفاق الحماية مع بريطانيا - بأنه سيضطر إلى الاتفاق مع الدولة العثمانية وربما أيضاً فرنسا - نقلاً عن الخنترش، فتوح عبد المحسن، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية - 1890-1921م - ط2، الكويت، منشورات ذات السلاسل 1984م، ص 108 - FO-78/5173/34840, FROM Viceroy. 8Th JUNE 1901
- (89) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، السفارة في الآستانة الملف 1245، الأوراق 201-204 - وثيقة رقم 2.
- (90) أعطت الحكومة الروسية تعليماتها إلى مساعد القنصل الروسي العام (أوسينكو) - Oseenko)

بأن يبذل كل ما في وسعه لإيجاد مصالح أو حقوق لروسيا في منطقة الخليج يمكن بناء عليها تأسيس مصالح أكبر تكون مدعاة لتدخلات مباشرة وغير مباشرة لروسيا في المنطقة، ومما يذكر أن (أوسينكو) هذا قد زُود بأوامر لكي يقوم بمراقبة التحركات الإنجليزية بمنطقة الخليج ومحاولة الوقعة بين الإنجليز والحكام والأمراء العرب، للمزيد راجع - محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي - 1297 - 1325 هـ / 1880-1907م، ص 49.

(91) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، الأرشيف السياسي، الملف 354، الورقة 25، وثيقة رقم 1.

(92) وثيقة سرية - القنصلية للإمبراطورية العامة الروسية في بغداد - 19 يونيو 1901 رقم 313.

(93) للمزيد انظر - ريزفان، سفن روسية في الخليج العربي 1899-1903، مواد من أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي، ترجمة: سليم توما، موسكو: دار التقدم، 1990م، ملف رقم 417، قائمة 1، إضبارة، 2512، الأوراق من 10 - 17، ص 109.

(94) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 113-114.

(95) على الرغم من أن بريطانيا أنكرت ما قام به ضابطها البحري واعتبرته غير لائق - للمزيد راجع - العثمانيون والروس في الخليج العربي، دراسة في العلاقات السياسية بينهما 1878 - 1907م، ص 97 - أيضاً السامرائي، نوري عبد البخيت: الصراع الروسي - البريطاني في إيران عشية الحرب العالمية الأولى، الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، العراق، المجلد الثامن عشر، العدد 3، 4، 1986م، ص 60-61 - نقلاً عن الدوسري: محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي، 1297 - 1325 هـ / 1880-1907م ص 143 - 68.

(96) - Kowit Agent to Lieutenant General Kembell (Translation.) 19th Ramzan, 11,1320 (Dec.20.1902), Lnclosure2 In. P.31

(97) تعد السفينة جيليالك - Giliak من أوائل السفن الحربية الروسية التي زارت الكويت- كما أن هناك أيضاً السفينة التجارية كورنيلوف - Korniloff التي عدت زيارتهما تنفيذاً لبرامج خطط تجارية روسية منافسة للوجود البريطاني في الخليج العربي آنذاك - الأرشيف الروسي في مركز أرشيف الدولة، موسكو، ملف - ب - 5 - د - 363-198 - ل - 35 - د - 1956. راجع - سفن روسية في الخليج العربي 1899-1903، مواد من أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي، ص 48-49.

(98) الأرشيف الروسي في مركز أرشيف الدولة، موسكو: ملف - ب - 5 - د - 363 - 198 - ل - 33 - د - 1956م.

(99) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 111.

(100) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 109.

(101) يشير البعض إلى أن الشيخ مبارك في محاولاته استثمار الأوضاع الدولية لصالحه أطلع الإنجليز على مفاوضات فرنسية حول إبرام اتفاقية سياسية مع الكويت - وهو ما يدل على أن مبارك

الكبير حاول استغلال جميع الضغوط التي من شأنها أن تقوي موقف الإمارة في التعامل مع الإنجليز - للمزيد راجع: HUREWITZ, Y. C., DIPLOMACY IN THE NEAR AND MIDDLE EAST, V1, N.Y., 1958, P.16

(102) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 110. أيضاً: Ibid, Lorimer, op cit p, 1022, Busch. op, cit, p.191

(103) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 128.

(104) اتفاقية الحماية (1899)م تعد إحدى أبرز الوثائق الدولية لإمارة الكويت في هذا الوقت، التي تم إنهاؤها بموجب إلغائها والاعتراف باستقلال الكويت في عام 1961م. للمزيد راجع: النشاط الروسي في الخليج، 1887 - 1907م، ص 120.

(105) التيارات السياسية في الخليج العربي، ص 223 - 224.

(106) - F.O.371/2136: Agreement of January 23, 1899, With The Sheikh of Kuwait.

(107) الصباح، ميمونة: الكويت في ظل الحماية البريطانية "القرن العشرين"، ج3، ط3، الكويت: د.ن، 2000م، ص 21.

(108) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1880-1907م، ص 138 - 139

(109) دراسة لتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة 1840 - 1914، ص 475.

(110) النشاط الروسي في الخليج 1887 - 1907م، ص 156.

(111) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 127.

(112) لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني، مراجعة: يوري روشين، ط7، ط8، بيروت: دار الفارابي، 1980، 1985 م، ص 423، أيضاً انظر: الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 128.

(113) زارت المنطقة في هذا الوقت كثير من قطع البحرية الروسية، فكان منها (Giliak) جيليأك- سفينة عسكرية، وتعد من أوائل السفن الروسية التي زارت المنطقة في هذه الفترة خاصة أن قبطانها حاول ترك 100 طن من الفحم لمدة أسبوعين في ميناء بندر عباس. فارياغ Varyag طراد تابع للأسطول البحري العسكري. أسكولد Askold طراد تابع للأسطول البحري الروسي العسكري. بويارين Boyarin طراد روسي تابع للأسطول البحري العسكري (وكان لهم زيارات متكررة على الموانئ بالخليج العربي في الفترة محل الدراسة بأهداف عسكرية وتجارية وسياسية واقتصادية، على أن الغالب الأعم كان محاولة الروس استعراض القوة وإيصال رسالة للجميع بأن روسيا حاضرة بقوة على الساحة، وعلى الجميع أن يعي ذلك ولا يحاول تهمةش دورها. للمزيد راجع: الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 222.

(114) الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 212.

(115) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (السفارة في الآستانة) الملف 869، الورقة 189.

(116) دليل الخليج العربي، ج 3، ص 1535.

(117) مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة، ص 307

(118) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1880-1907م، ص 140-141.

(119) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، السفارة في الآستانة الملف 1244 - الأوراق 74-78.

(120) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (السفارة في الآستانة) الملف 1244 الأوراق من 74 - 78.

(121) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (الأرشيف السياسي) الملف 365، الأوراق 15- 16.

(122) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (قسم آسيا الوسطى) الملف 920، الورقة 2.

(123) أرشيف الدولة المركزي للأسطول الحربي البحري لروسيا المجموعة 417، القائمة 1، الملف 22560، الأوراق (90-99) تقرير قبطان الطراد فاريغ - Varyag أرشيف السياسة الخارجية لروسيا، الأرشيف السياسي، الملف 365، الأوراق 9-11-13.

(124) الأرشيف الروسي في مركز أرشيف الدولة، موسكو، ملف - ب - 5 - د - 363 - 171 - ل - 128 - 155 - تقرير بعث به القنصل الروسي في البصرة آدموف إلى المبعوث الروسي في طهران أرغروبول بتاريخ، 3/ 11/ 1901م ومبعوث أيضاً بنسخة من التقرير إلى السفارة الروسية في إستانبول.

(125) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا (السفارة في الآستانة)، الملف 1266 الأوراق 3 - 16 وثيقة رقم 7، وهناك مصادر تذكر أن الشيخ جابر ابن الشيخ مبارك زارها وتعرف على بحارتها واستقبله الضباط الروس بالترحيب، وقد أشارت المصادر الإنجليزية إلى عدم تحققها من صحة اللقاء آنذاك خاصة أن الشيخ مبارك حاول إخفاء أمر زيارة السفينة، إلا أنه اضطر إلى إخبارهم فيما بعد مؤكداً أنها من قبيل المجاملات لا أكثر - وأنه حريص على علاقاته الطيبة مع الجميع. للمزيد راجع - محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1880-1907م، ص 146 - 147.

(126) النشاط الروسي في الخليج العربي 1887 - 1907م، ص 122.

(127) الأرشيف السياسي، ملف ب 5، د - 1956، 204 - ل - 41، تقرير من سكرتير القنصل العام الروسي في بغداد أوسينكو - OSEENKO إلى المبعوث الروسي في طهران فلاسوف، بتاريخ 28/ 12/ 1902م، الأرشيف السياسي، ملف ب - 2 القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية، بندر بوشهر، رقم 559، 28 سبتمبر 1902م، بلاد فارس - أرشيف السياسة الخارجية لروسيا.

(128) الخترش، فتوح: التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك، دراسة وثائقية مقارنة بالمؤرخين المحليين، تأليف ج.ج. سلدان عن كتاب شؤون الكويت 1896-1904م، ط2، الكويت: د.ن، 1990م، ص 225.

(129) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1880-1907م، ص 147.

- (130) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 429.
- (131) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1880-1907م، ص 147.
- (132) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 367.
- (133) محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1297 - 1325 هـ / 1880-1907م، ص 126 - 133.
- (134) النشاط الروسي في الخليج العربي 1887 - 1907م، ص 122.
- (135) لاشك أن الخطر الروسي على بريطانيا في فارس والخليج العربي لم يقتصر على هذه المنطقة فحسب بل امتد ليشمل الشرق الأقصى ككل، لذا فقد حاولت بريطانيا البحث عن حلفاء أقوى لها خاصة بعد شعورها بأن التفوق الألماني والأمريكي الصناعي بدأ يلقي بآثاره، فسارعت بريطانيا إلى التحالف مع اليابان التي كانت في هذه الفترة تبرز منافساً قوياً لروسيا، ووقع الطرفان معاهدة في عام 1902م، على أن روسيا حاولت أيضاً التقرب من الألمان في مواجهة التحالف البريطاني الياباني، غير أن ألمانيا عاجلت الروس بحرب كانت نتيجة التنافس القوي بين الدولتين في منطقتي كوريا ومنشوريا، بعد أن حاولت روسيا إحكام سيطرتها على أجزاء كبيرة من آسيا، ومن ثم نشبت الحرب بين روسيا واليابان على الأراضي الصينية في منطقة منشوريا، وقد كانت نهاية الحرب انتصاراً يابانياً كبيراً على القوات الروسية، وتحقق بذلك هدف بريطانيا في الحد من التوسع الروسي على جميع الجوانب. للمزيد راجع: نوار، عبد العزيز سليمان، ونعنع، عبد المجيد: التاريخ المعاصر، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د.ط، بيروت: دار النهضة العربية، د.ت، ص 346 - قاسم، محمد، وهاشم، أحمد نجيب: التاريخ الحديث والمعاصر، د.ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص 232.
- (136) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 430.
- (137) دليل الخليج العربي، ج1، ص 575.
- (138) - Ronald Shay, Earl of, THE LIFE OF LORD CURZON, (LONDON, 1982), VOL.III, PP, 30610.
- (139) الكويت وعلاقتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ص 152.
- (140) العثمانيون والروس في الخليج العربي، دراسة في العلاقات السياسية بينهما 1878 - 1907م، ص 109.